البيانات في أرامكو السعودية تتجه نحو الاندماج

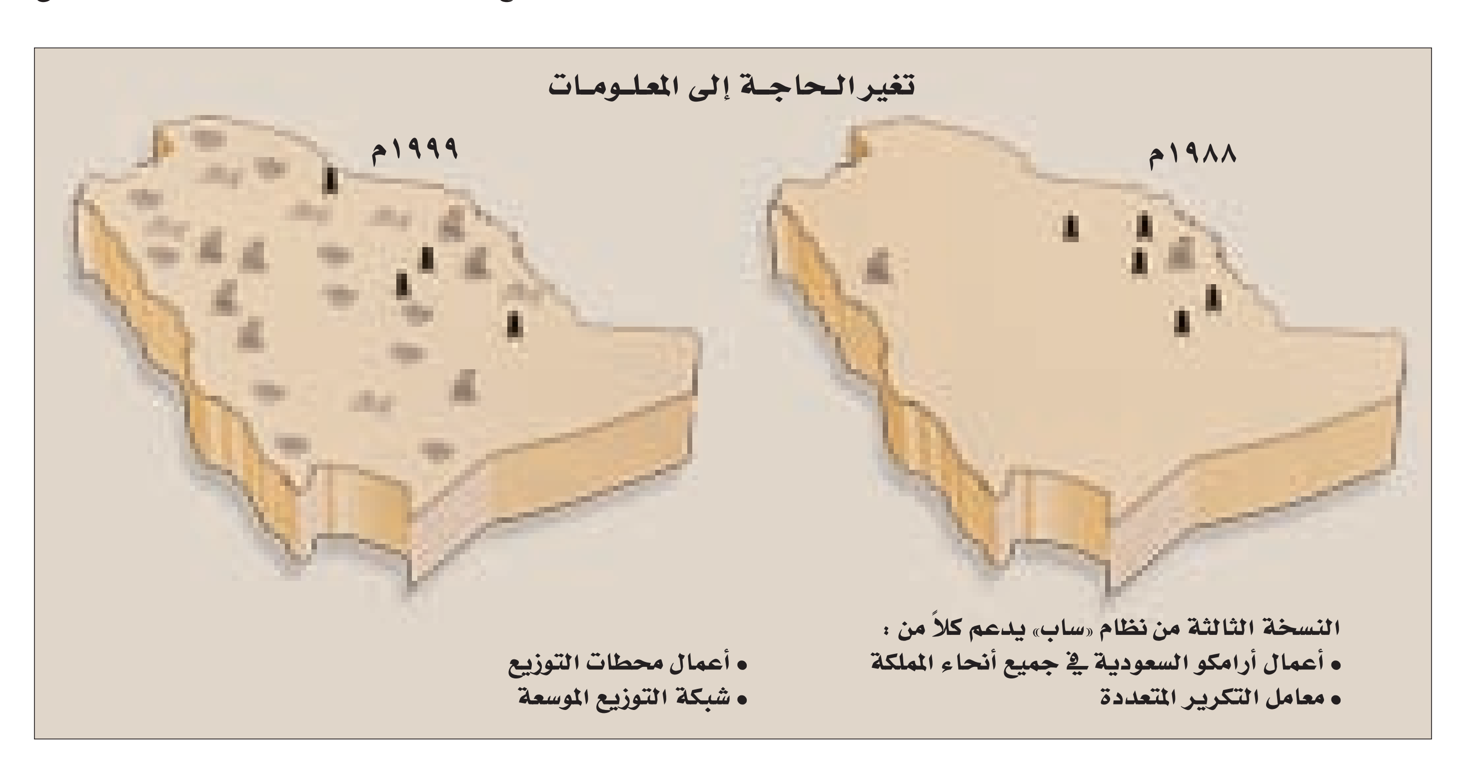
ترجمة: وليد علي العبود

منذ عام ١٩٩٥م، ارتأت الإدارة العليا في أرامكو السعودية، كما رأى غيرها من الشركات الكبرى الأخرى في العالم، أن هناك حاجة متزايدة وفرصة سانحة لدمج بيانات الأعمال التي تتم بصورة منفصلة في الدوائر المختلفة، من أجل زيادة سرعة وكفاءة التعامل مع هذه البيانات على مستوى الشركة. وقد استطاعت المعلومات التي تطورت على مدى عقود عديدة في ظل توسعات هائلة وتحولات ضخمة شهدتها أرامكو السعودية، أن تلبي بكفاءة الحاجة إلى معالجة البيانات داخل الدائرة الواحدة. ولكن حين تريد دائرة أخرى استخدام نفس المعلومات فإنه يكون من الضروري إعادة إدخال نفس المعلومات في النظام الخاص بتلك الدائرة أو ربط أنظمة المعلومات في الدائرتين.

و مع توسع أرامكو السعودية وزيادة مسؤولياتها وزيادة درجة اعتماد وحداتها العاملة على بعضها البعض، ازدادت حاجة العاملين في جميع مناطق الشركة إلى المعلومات من شتى الأنظمة. وصاحب هذه الحاجة توفر التقنية التي تتيح طرقاً أفضل وأحدث لمناولة المعلومات. فقد انتهى نظام المعالجة المجمعة للبيانات الذي ساد في الستينيات والسبعينيات، وحلَّ محله نظام المعالجة الإلكترونية المباشرة للمعلومات من خلال وحدة المعالجة الرئيسة في الكمبيوتر في الثمانينيات وأوائل التسعينيات.

والآن ومع توفر أجهزة الحواسيب الشخصية ذات القوة الكبيرة والوفرة الواسعة، فإن التقنية تتجه سريعاً نحو استغلال طاقة المعالجة لهذه الأجهزة الشخصية بالإضافة إلى القدرات المركزية للتخزين ومعالجة المعلومات. فأسلوب الملف الرئيس لخدمة العملاء Client/Server يسهل الحصول على المعلومات في جميع أنحاء الشركة كما يسمح لجميع مستخدميه بالتعامل مع نظام الكمبيوتر وفق احتياجاتهم العملية.

وعلى صعيد برامج الحواسيب، ظهرت أنظمة لتخطيط موارد المشاريع



تتيح استخدام تطبيقات متعددة الوظائف في مجال الأعمال بشكل متكامل ومترابط. وها هو نظام «ساب»، الكلمة المختصرة لعبارة أنظمة وتطبيقات ومنتجات معالجة البيانات، قد أصبح أكثر نظم المعلومات استخداماً في العالم حالياً حيث يستخدم على نطاق تجاري لتخطيط موارد المشاريع عن طريق الملف الرئيس لخدمة العملاء. وإدراكاً منها لما يطرأ على احتياجاتها من تغيرات وما يستجد من تقنيات متطورة، وضعت أرامكو السعودية برنامجاً لتكامل أنظمة الأعمال فيها (BSIP)، وقررت أن تستخدم نظام «ساب» في أعمالها الرئيسة، والتي تشمل الموارد البشرية ومبيعات المنتجات المكررة والشؤون المالية وإدارة المواد وعقد المقاولات والصيانة وإدارة المشاريع. ووضعت إطاراً زمنياً لتطبيق هذا النظام في المجالات المشار إليها في المدة من أواخر عام ١٩٩٩م حتى نهاية عام ٢٠٠٢م.

وأفضل طريقة لفهم برنامج تكامل أنظمة الأعمال في أرامكو السعودية هي أن ننظر إليه على أنه مشروع يرمي إلى استخدام الكمبيوتر في إدارة الأعمال. وتتمثل إحدى الميزات المهمة لاستخدام نظام جاهز مثل النسخة

يجري حالياً تطوير برنامج «ساب» لدعم مبيعات التصدير باستخدام المعلومات المتاحة في كل من أرامكو السعودية وشركات البترول الرئيسة الأخرى

الثالثة (SAP R/3)، في أنه يسمح لأرامكو السعودية بالتركيز على أعمالها الرئيسة، في الوقت الذي توكل فيه المهام الأخرى ممثلة في أعمال التطوير والصيانة والتحديث لهذه الأنظمة إلى شركة برامج الكمبيوتر.

وبناء على ذلك، فإن الفريق القائم على تنفيذ برنامج تكامل أنظمة الأعمال يتكون من ممثلين من دوائر الشركة المختلفة وليس من إدارة الكمبيوتر، حيث يقوم مسؤولو الصيانة ضمن هذا الفريق بتنفيذ الأجزاء الخاصة بالصيانة في المشروع، كما يتولى المسؤولون في الشؤون المالية الأعمال الخاصة بهم، وكذلك الأمر بالنسبة لمسؤولي المواد ومتطلبات المشتريات، فالجميع يعملون بشكل متكامل من خلال النسخة الثالثة من نظام SAP.



رئيس فريق تصميم الموارد البشرية، هشام النجار (إلى اليسار) ، ومنسق التدريب والتعليم، مهنا المهنا ، يناقشان جداول التخطيط الخاصة باستخدام نظام «ساب» في الشركة

ما هو نظام «ساب»؟

(ساب إي. جي- SAP AG) شركة ألمانية ظهرت بمنتجها الذي يعرف بالنسخة الثالثة من نظام «ساب» كواحدة من الشركات العالمية الرائدة في إنتاج برامج متكاملة، يمكن عن طريقها إدارة جميع الأعمال في المشاريع، وهي تستأثر بنسبة ٣٣٪ من السوق العالمية. وقد حاول مصممو «ساب» أن يجمعوا فيه بين أحدث وأفضل التطبيقات الصناعية التي تعكس خبرات واقتراحات ومتطلبات الشركات الرائدة حول العالم في منتجهم، ويتميز هذا المنتج بمرونته وسهولة تعديله ليتلاءم مع المتطلبات الخاصة للصناعات والشركات الفردية.

وكمنتج متكامل فإن نظام ساب قادر على المساندة الآلية لعملية تخطيط الإنتاج على سبيل المثال، استناداً إلى المعلومات المتوفرة عن طلبات البيع، كما يمكنه القيام بعمل التقديرات النقدية وتحديد متطلبات المشتريات. ولما كانت جميع البيانات يتم إدخالها مرة واحدة فقط، فإن جميع الأنظمة تعمل وفقاً لنفس المعلومات، كما أن أي تغيير في هذه المعلومات في أحد المجالات يمكن أن يدلنا على ما ينبغي علينا تغييره تبعاً لذلك في مجالات أخرى.

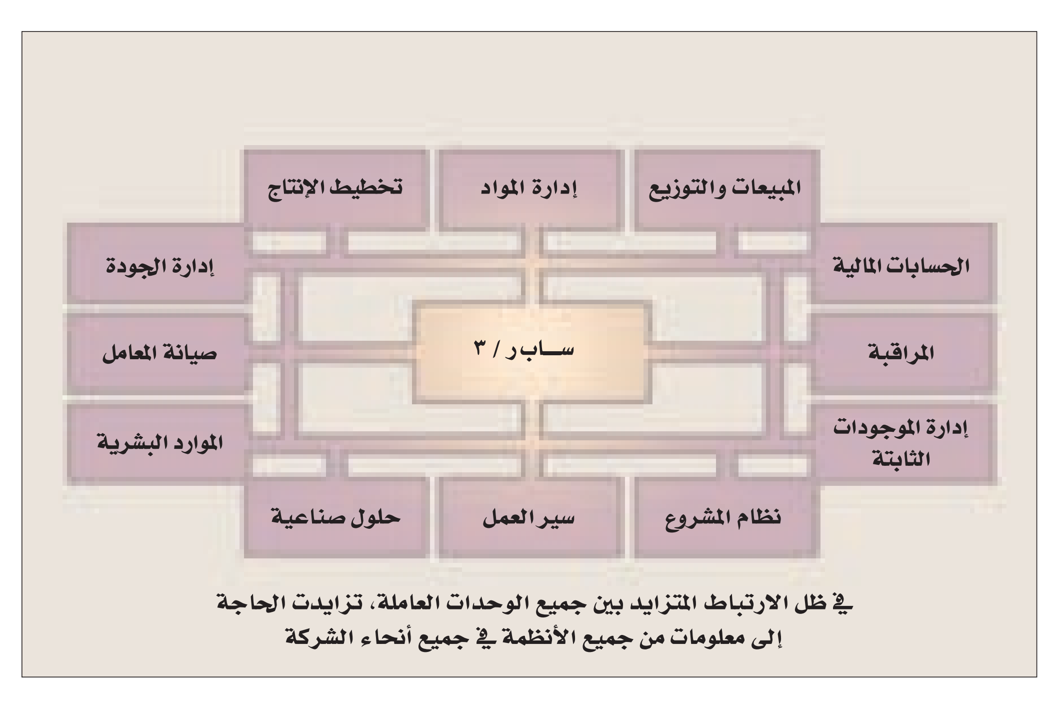
ما هو دور «ساب» في مجال الموارد البشرية؟

بدأ فريق الموارد البشرية في برنامج تكامل الأنظمة ببعض الأعمال الإدارية التنظيمية من خلال «ساب» في أواخر عام ١٩٩٩م، ويعد ذلك هو التطبيق العملي الأول لـ «ساب» في أرامكو السعودية. وسوف تتواصل أعمال ومهام أخرى لهذا البرنامج على مراحل حتى أوائل عام ٢٠٠١م.

ويشمل برنامج «ساب» الخاص بالموارد البشرية إدارة شؤون الموظفين والتدريب والتعليم وتطوير الكفاءات الوظيفية وإدارة الوقت والمزايا والإدارة التنظيمية وتخطيط تكلفة الموظفين وتخطيط الوظائف والإحلال الوظيفي، وإدارة التوظيف والسفر. كما يلزم تغيير بعض أنظمة البيانات الحالية في وحدة المعالجة الرئيسة في الكمبيوتر كتلك المتعلقة ببيانات الموظفين والتدريب وتسجيل الوقت، سعياً إلى زيادة كفاءة جميع أنظمة المساندة الخاصة بالموارد البشرية وتكاملها والاستفادة من الممارسات الموثوقة لبرنامج«ساب». وسوف يؤدي هذا الاستبدال لأنظمة البيانات

القديمة إلى الحد بدرجة كبيرة، من ازدواجية بيانات الموظفين ما لم يمنعها تماماً، كما يتيح لأرامكو معالجة أفضل لبياناتها وقدرة أكبر في الحصول على هذه البيانات.

كما سيتم دمج عدد كبير من العمليات الإلكترونية التي تتم بشكل منفصل ضمن نظام ساب الجديد. ومن ذلك على سبيل المثال نظام تسجيل الوقت في الإدارات المختلفة فيما يتعلق بتحديد مواعيد أجازات الموظفين، وتحديث رصيد أجازاتهم وتسيير طلبات أجور الأجازات وإشعار مكتب الجوازات للقيام بتسيير المعاملات.



في ظل الارتباط المتزايد بين جميع الوحدات العاملة، تزايدت الحاجة إلى معلومات من جميع الأنظمة في جميع أنحاء الشركة

كما سيتم إلكترونياً اتخاذ العديد من الإجراءات التي تتطلب في الوقت الحاضر استخدام النماذج والمذكرات وتداولها بين المعنيين بها في جميع مناطق الشركة. وهذا من شأنه، أن يمنع التأخير الناتج عن إرسال ومتابعة النماذج كما يتيح إمكانية الدراسة الفورية لهذه النماذج والموافقة عليها من قبل العديد من الأطراف في وقت واحد بدلاً من أسلوب الأوراق الذي يتطلب موافقة الواحد تلو الآخر.

ولن تكون الدوائر بحاجة بعد ذلك إلى الاحتفاظ بنسخ من المعلومات المختلفة الخاصة بالموظفين أو البحث عن هذه المعلومات عبر مصادر مختلفة، بل سيكون بوسع المديرين أو من ينوب عنهم الحصول على كل هذه المعلومات عبر شاشات الحاسوب على مكاتبهم وإضافة إلى ذلك، قد يصبح بوسع الموظفين مراجعة المعلومات الخاصة بهم في السجلات والتأكد من صحتها وتحديثها بصورة فورية. ومن المقرر أن يتم إنجاز الجزء المتعلق بالموارد البشرية على مراحل تستغرق سنتين.

ما هو دور «ساب» في مجال المبيعات والتوزيع؟

سوف يتيح «ساب» لأرامكو السعودية أن تكون أكثر سرعة في استجابتها لعملائها مع زيادة قدرتها على التفاعل بشكل أسرع مع التحولات المتسارعة في أوضاع السوق، باعتبارها أحد منتجي الزيت الخام والمنتجات المكررة والغاز. وسوف يجد هذا العدد الكبير من عملاء أرامكو السعودية أن بوسعهم إجراء ترتيبات الائتمان والدفع مع أرامكو السعودية مباشرة، وليس من خلال العديد من نقاط الاتصال. كما سينعكس ذلك إيجاباً على العديد من أنظمة الكمبيوتر غير المرتبطة بأرامكو السعودية والتي أصبحت جزءاً من الشركة بعد دمج أعمال قطاع الطاقة في المملكة.

وباستخدام أدوات التقدير في «ساب» والبيانات التاريخية، تستطيع الشركة أن تتنبأ بصورة أفضل بالتغيرات التي تطرأ على الطلب على المنتجات بحيث يمكن تطوير آلية التوزيع وفقاً لذلك. ولما كانت المؤشرات القياسية للبيع والتوزيع ترتبط ارتباطاً مباشرا بالمؤشرات المالية في «ساب»، فسوف يكون من الممكن تسيير طلبات العملاء مباشرة باستخدام الأنظمة المالية المناسبة الخاصة بتحديد التطورات وإعداد الفواتير وتحديث البيانات.

ويأتي استخدام «ساب» في دعم المبيعات المحلية كخطوة لاحقة في أرامكو السعودية. ومن المقرر أن يكون ذلك في أواخر عام ٢٠٠٠م، كما يجري حالياً تطوير برنامج «ساب» لدعم مبيعات التصدير باستخدام المعلومات المتاحة في كل من أرامكو السعودية وشركات البترول الرئيسة الأخرى، وهو ما سيتم تنفيذه أيضاً في وقت لاحق في أرامكو السعودية.

ما هو دور «ساب» في المجال المالي؟

تحتل المؤشرات المالية القياسية مكان القلب في نظام «ساب»، وهي من التكامل بما يسمح بالحصول على بيانات مالية دقيقة وسريعة لإعداد التقارير المالية. وسوف تكون المؤشرات المالية هي المجال الثالث الذي يستخدم فيه نظام «ساب» في أرامكو السعودية كما ستكون باكورة هذا الاستخدام في عام ٢٠٠٠م وسوف تتلوها استخدامات أخرى على مدار نفس العام.

ونظراً لأن النظام قد بني على مؤشرات قياسية، فإن احدى نقاط القوة فيه هي تكامل هذه المؤشرات. ويعني ذلك بصفة أساس أن المعلومات تنتقل بصورة مثالية عبر هذا النظام. وسوف يتم إدخال البيانات لمرة واحدة فقط، وهذا من شأنه أن يحول دون إمكانية حدوث أخطاء في الأنظمة المختلفة. كما أن لتكامل النظام العديد من الفوائد المحتملة بالنسبة لمستخدمه في المجال المالي مما يعد إضافة إلى قيمته. فعلى الرغم من أن البيانات في السجلات الرئيسة تعد بيانات قياسية إلا أنها ذات مدلولات مختلفة بالنسبة لمستخدميها تبعاً لاحتياجاتهم المحددة. وتعد السجلات الرئيسة للبائعين أحد الأمثلة الجيدة على ذلك، حيث تختلف فيها متطلبات المشتري إذا قورنت باحتياجات إدارة

الخزينة على سبيل المثال، كما تتوفر فيها المعلومات على أساس الوقت الفعلي. وتجني العديد من شركات الزيت الرئيسة حالياً فوائد استخدام نظام ساب الذي يتصف بالمرونة ويجري تطويره بصفة مستمرة وتزويده بخصائص جديدة يتعلق بعضها بصناعة الزيت دون غيرها.

ما هو دور «ساب» في مجال تأمين المواد؟

يتم تأمين المواد والخدمات من طريق نظام «ساب» من خلال عمليات متشابهة لإعداد طلب المادة أو الخدمة. وسوف يتاح للشركة استخدام نظام «ساب» في مجال تأمين المواد إلى جانب استخدامه في المجال المالي خلال عام ٢٠٠١م. وسوف يكون لنظام ساب قاعدة بيانات رئيسة خاصة بالمواد، كما سيتيح نوافذ مختلفة على قاعدة البيانات تلبية للمتطلبات المختلفة في مجال التخطيط والتوزيع وتأمين المواد والجودة والمالية وغيرها. ومن بين البنود الثابتة في مجال تأمين المواد، ما يتعلق بمتطلبات التفتيش ومؤشرات الوقت ووصف المادة. ونظراً لأن كل شخص ينظر إلى نفس المعلومات من زاويته، فسوف يتاح للجميع عبر نوافذ مختلفة نفس الرؤية من خلال أحدث البيانات.

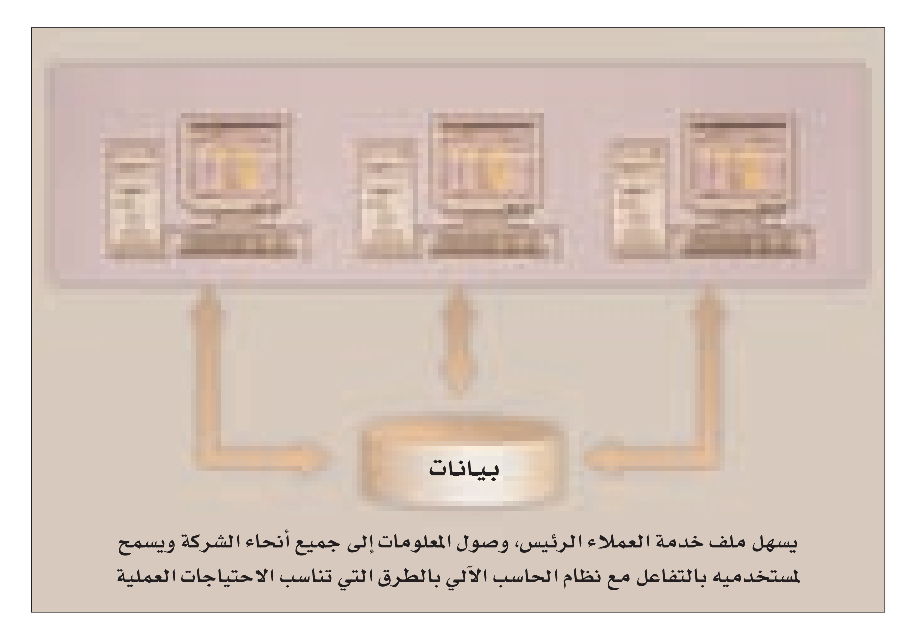
وسوف يكون بالإمكان استخدام «ساب» لتخطيط متطلبات مخزون العهدة في المستودعات. وهناك عشرون طريقة مختلفة على الأقل لتخطيط المواد في نظام «ساب». كما يمكن أيضاً عن طريقه إعداد صيغ مبدئية للاتفاقيات تحدد فيها الشركة الأسعار وشروط التسليم. كما يمكن استخدام هذه الصيغ في تسيير الطلبات وإصدار طلبات الشراء آلياً.

وسيكون بوسع المشترين في أرامكو السعودية التركيز على مهامهم الحقيقية ممثلة في الدخول في المناقصات وإجراء المفاوضات. كما يحتوي نظام ساب كذلك على نموذج لطلب عرض الأسعار يمكن عن طريقه اختيار البائعين بصورة آلية مع تقديم العروض عن طريق الفاكس أو أية وسيلة إلكترونية أخرى.

ما هو دور «ساب» في صيانة المعامل؟

تعد الصيانة الفعالة من الأمور الحيوية لاستمرار الأعمال وضمان السلامة في أرامكو السعودية. ويتم إجراء الصيانة في منطقة جغرافية كبيرة وفي ظروف مختلفة عن طريق العديد من وحدات العمل المختلفة، وهي عملية معقدة ودقيقة وتحتاج إلى نظام يساند هذا التنوع. وقد تم تطوير أنظمة ممتازة لإدارة أعمال الصيانة، وهي الآن قيد الاستخدام ولكنها تعمل بشكل مستقل. ففي بعض الحالات على سبيل المثال، تستخرج معلومات عن متطلبات الصيانة عن طريق أنظمة الصيانة، ثم يعاد إدخالها إلى نظام تأمين المشتريات حتى يمكن الحصول على المواد اللازمة للصيانة.

ويهدف فريق الصيانة، ضمن برنامج تكامل أنظمة الأعمال، إلى إكمال قاعدة المعلومات والخبرات المتوفرة حالياً، واستخدام إمكانيات نظام (ساب) لإنجاز أعمال الصيانة بمستويات عالمية وبشكل موحد



يسهل ملف خدمة العملاء الرئيس، وصول المعلومات إلى جميع أنحاء الشركة ويسمح لمستخدميه بالتفاعل مع نظام الحاسب الآلي بالطرق التي تناسب الاحتياجات العملية

ومتوافق في الدائرة. وفي الوقت نفسه سوف تتكامل مؤشرات الصيانة القياسية مع المؤشرات الأخرى في «ساب» بحيث يمكن طلب المواد والخدمات المطلوبة لأعمال الصيانة آلياً.

ويؤدي مثل هذا النظام المتكامل إلى تبسيط شديد لعملية الحصول على المعلومات وإدارتها. كما يزيد من دقة البيانات التي يتم الحصول عليها. وهذا من شأنه أن يوفر الجهد ويحسن النوعية كما يتيح إمكانية الحصول على معلومات موثوقة لاتخاذ قرارات فعالة، خاصة وأن الحاجة إلى تخفيض تكلفة الإنتاج تبدو أكثر أهمية من أي وقت مضى سواء عن طريق استخدام مواد أرخص أو عن طريق اتخاذ قرارات أكثر فاعلية أو رفع مستوى الأداء في مرافق الإنتاج. وللصيانة كما هو معروف، تأثيرها الكبير والواسع جداً على جوهر الأعمال. وهذه هي الفائدة الحقيقية التي سوف تجنيها الشركة من تطبيق نظام معلومات عالمي المستوى في مجال الصيانة.

ما المقصود بمستودع البيانات؟

وجود نقطة تجميع مركزية للبيانات سوف يسهل الحصول على المعلومات واتخاذ القرار بخصوص الأعمال والوصول إلى البيانات العامة وفقاً لمتطلبات الشركة. وسوف تكون نقطة التجميع هذه بمثابة مستودع بيانات يتيح إمكانية عرض المعلومات حول موضوعات بعينها، كموضوع العملاء مثلاً، عبر حواجز عملية مثل الحواجز اللوجستية والمحاسبية. وسوف يضاف إلى المعلومات المخزنة في نظام «ساب» معلومات من أنظمة أخرى في الشركة وبيانات خارجية وستكون جميعها في متناول الإدارة والمستخدمين النهائيين من خلال مستودع البيانات.

ومما يجدر ذكره أن بيئة العمل الأكثر اتساعاً وتعقيداً في عالم اليوم تتطلب قفزة كبيرة في القدرة على مناولة البيانات. كما أن تطبيق واستخدام هذه التقنية المتطورة يبشر بقدوم عهد جديد من السرعة والكفاءة في أداء جميع أعمال أرامكو السعودية المعتمدة على البيانات. ■

* الصور والرسوم التوضيحية : أرامكو السعودية

عجائب الدنيا السبع:
ماضياً وحاضراً ومستقبلاً

بقلم: د. مظفر صلاح الدين شعبان*

تتفق المراجع على أن تقدم «الهندسة»، هو مقياس انتصار الإنسان ودليل امتيازه، وبرهان اقتداره في تطوير ما يحيط به من قوى مادية واستخدامه لها. وقد تقدم الإنسان منذ فجر التاريخ في محاولاته الدؤوبة لفهم نفسه، واستيعاب الكون من حوله والتعرف إلى العالم المحيط به. ولا أدل على التقدم الهندسي لدى الإنسان القديم من عجائب الدنيا السبع، وهي كلها منشآت هندسية رائعة.

إن قصة عجائب الدنيا السبع تعود إلى حوالي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وهي مرتبطة مع عجائب الدنيا الحديثة بعرى ووشائج لا ترى.

عجائب الدنيا السبع

منذ أقدم الأزمنة بحثت الإنسانية عن طريقة مجدية تسيطر بها على البيئة المحيطة فعمدت إلى إنشاء نصب ضخمة دائمة وجميلة، تصمد أمام الزمن وتواجه نوائب الدهر.

وعلى مدى التاريخ أفرز هذا التحدي الذي جابه الإنسان إنجازات معمارية ضخمة وجميلة تثير الإعجاب.

وكان الإغريق القدماء أول من عبّروا عن شعورهم بالإعجاب تجاه عجائب الدنيا، فوضعوا قائمة تضم سبعة معالم شهيرة عرفت باسم «عجائب الدنيا السبع»، وهي تمثل سجلاً لإنجازات الإنسان الصامدة.

ففي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد تجزأت إمبراطورية الاسكندر المترامية الأطراف إلى مجموعة من الدويلات المتمتعة



تعد الأهرامات المصرية بالجيزة في مصر أكثر عجائب العالم القديم شهرة. وما تزال تجتذب الكثير من الزوار

* أستاذ في كلية الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة حلب.

بالاستقرار والأمان. وكان الناس وقتها قادرين على التنقل من دولة إلى أخرى لزيارة المناطق العجيبة والأماكن المثيرة. وعبر اهتمامات الناس بالترحال وزيارة الدول الأخرى تطورت قائمة «المناظر العظيمة» التي تحولت إلى ما أصبح يعرف باسم «عجائب الدنيا السبع» وهي:

١ – أهرامات الجيزة.

٢ – حدائق بابل المعلقة.

٣ – هيكل زيوس في أوليمبيا.

٤ – معبد أرتيميس في إيفيسوس في آسيا الصغرى.

٥ – ضريح هاليكار ناسوس.

٦ – تمثال رودس.

٧ – منارة الإسكندرية.

تسمح فترات الاستقرار والبحبوحة لبذور المعرفة أن تؤتي أكلها، مما يهيء الظروف لانتشار العلم وتحقيق الاكتشافات والاختبارات التقنية

وفي القرون التالية، تعرضت هذه القائمة إلى مراجعات وتعديلات عدّة. فالرومان مثلاً عدوا الكوليزيوم في روما أهم من تمثال رودس، إلا أن العدد الإجمالي لعجائب الدنيا بقي على حاله على الدوام. فالعدد سبعة يتضمن مغزى غامضاً ذا قوة سحرية بالنسبة للعالم القديم، وهو يظهر على الدوام في الرموز والأساطير القديمة.

وكان الإغريق ينظرون إلى عجائب الدنيا السبع على أنها مهمة، حتى أنهم – في بحثهم الدؤوب عن الانسجام والكمال – نظروا إلى زيارة إحدى العجائب كضرب من ضروب «الواجب» أكثر منها زيارة بقصد السياحة أو الاستجمام. وحتى يومنا الحاضر فإن الإعجاب والاحترام يتملكنا عندما نرى أو نسمع عن إحدى عجائب الدنيا القديمة، خصوصاً وأن جميع هذه المنجزات الهندسية تم بعيداً عن أدوات البناء الحديثة وعناصر الإنشاء الحالية.

ويؤسفنا أن المجال لا يتسع للإجابة عن سؤال: كيف تم بناء هذه العجائب السبع ولا عن سؤال: كيف نقل البناؤون الأوائل الحجارة الضخمة إلى مواقع الإنشاء، وكيف رفعوها إلى موقعها المحدد، بل سنكتفي بالإشارة إلى أن البنائين والمعماريين الأوائل كانوا قادرين على حل أعقد المسائل وأصعبها باستعمال أبسط الأدوات والتقنيات، وأنهم عوّضوا عن تقنياتهم البدائية باللجوء إلى تسخير عدد هائل من العمال، الذين كانوا يساقون – قسراً – للعمل في سبيل إنجاز المشروع الذي يلبي تطلعات حاكم فرد أو قائد. وهناك عجائب من صنع الإنسان تم بناؤها من أجل أغراض عملية كالتحصينات الدفاعية – كسور الصين العظيم مثلاً – أو القلاع الضخمة، أو الأسوار المحيطة بالمدن. ولا ننسى هنا الإشارة إلى قصر فرساي الذي أنشئ في العصور الوسطى لإطراء الحاكم العام الفرنسي.

إن فترات الاستقرار والبحبوحة تسمح لبذور المعرفة أن تؤتي أكلها، مما يهيء الظروف



حدائق بابل المعلقة ربما أقامها الملك نبوخذ نصر الثاني بعد زواجه من إحدى أميرات الجبال

لانتشار العلم وإنجاز الاكتشافات والاختبارات التقنية. فمع أن برج إيفل أقيم بعد منارة الإسكندرية بألفي سنة، إلا أن المشروعين بُنيا لتوضيح الإنجازات التقنية الإنسانية.

ويستدل على ذلك من قول مصمم البرج بنفسه غوستاف إيفل (١٨٣٢ - ١٩٢٣م) الذي أشار إلى أن «برج إيفل أنشئ كي يصبح رمزاً وشاهداً أمام العصور لتوضيح فن الهندسة وللتدليل على قرن الصناعة والعلم».

وعندما ننظر إلى الأعمال المذهلة التي يغص بها عصرنا ، فإننا نميل إلى تكذيب ما تشاهده أعيننا، فليس من المعقول أن تكون عجائب القرن العشرين عديدة إلى هذا الحد !! وهذه النقطة تحملنا إلى اعتبار عصرنا وكأنه يقف بمفرده بعيداً عن القرون

هناك محاولات جديدة من مهندسي اليوم لتقديم عجائب حديثة، تحقق المجد والفخار وتبارك إنجازات القرن الحالي

الأخرى ومعزولاً عنها، لأن التقدم الذي حققه الإنسان في العقود القليلة الماضية تم بسرعة مذهلة تدعو للاستغراب، فالروح الإبداعية للإنسان ورغبته الدائمة في تحسين إنجازاته، حولت القرن العشرين إلى عصر العجائب، ولعل هذا هو ما يميز عصرنا عن العصور السابقة.

عجائب الدنيا السبع الحديثة

لقد سعى المهندسون على امتداد التاريخ إلى اثبات مهاراتهم وإنجازاتهم فأقاموا العجائب المذكورة آنفاً. ولا نستغرب إطلاقاً إن علمنا أن هناك محاولات جديدة من مهندسي اليوم لتقديم عجائب حديثة، تحقق المجد والفخر وتبارك إنجازات القرن الحالي. وبالطبع فإن عجائب الدنيا الحديثة تختلف كلية عن المجموعة السابقة التي أنجزها الإنسان قبل حوالي ٢٥٠٠ سنة.

وعندما قررت المجلة الهندسية الأمريكية الشهيرة IEEE (مجلة المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين) إصدار عدد حول عجائب الهندسة الحديثة فإنها تبنت قراراً ينص على أن المشروعات التي سيتم استعراضها في هذا التقرير يجب أن تكون المشروعات الأكبر من نوعها في مجال الإنشاء، ومنها التي يتم إنجازها من قبل أعمال وشركات دولية مشتركة.

وفي رأي المجلة المذكورة، فإن الإلكترونيات أكثر من ضرورية بالنسبة لأعاجيب الدنيا الحديثة. فالأعاجيب القديمة التي يعود تاريخها إلى ثلاثة وعشرين قرناً مضت، تضمنت تراكمات كتلية من الحجارة المقطوعة والمنحوتة، شكلت فجر الهندسة الحديثة في التاريخ، كما أن قائمة عجائب الدنيا في النصف الأول من القرن العشرين اشتملت على مشروعات من الهندسة المدنية منها: المبنى الأمريكي الشهير امبايرستيت بيلدينغ (وهو ناطحة سحاب ارتفاعها ٣٨١ متراً وتتألف من ١٠٢ طابقاً وتم بناؤها عام ١٩٣٢م)، وجسر البوابة الذهبية جولدن جيت (وهو جسر معلق بني في منتصف ثلاثينات القرن الحالي) وهو يمتد فوق مدخل خليج سان فرانسيسكو عبر فتحة طولها ١٢٨٠ متراً.



معبد أرتيميس في إيفيسوس. يعد أحد أكبر المعابد التي بناها الإغريق، واشتهر بزخرفته وكثافة استعمال الرخام فيه

الهواتف الخليوية للاتصال بالمقالع.

ومن المشروعات العملاقة التي يمكن أن تمثل عجائب القرن العشرين ما يلي:

الأعجوبة السابعة للطيران

وهي أكبر طائرة ذات محركين تحلق في الجو من إنتاج شركة بوينغ الأمريكية وتحمل الرمز ٧٧٧، وتستعمل أقوى المحركات النفاثة التي تم تطويرها حتى الآن، وهي أول طائرة تجارية أمريكية للنقل تعتمد كلياً على أدوات التحكم التي يتم تشغيلها إلكترونياً، ويبلغ وزنها ٢٣٠ ألف كيلوغرام.

وتمثل الطائرة المذكورة ذروة خبرة «بوينغ» في التصميم، التي تجمعت على مدى عقود عدة لتصنيع الطائرات اعتباراً من السلسلة ذات الرقم ٧٠٧، والطائرة المذكورة قادرة على الطيران لمسافة ٧٤٠٠ كيلومتر.

القلادة الزجاجية

وهي تمثل نظاماً من الألياف الضوئية طوله ٢٧٣٠٠ كيلومتر تحت سطح البحر، يربط المملكة المتحدة باليابان ونقاط متفرقة واقعة بينهما، أي يمتد عبر أكثر من ثلثي محيط الكرة الأرضية. ويوصل بين ثمانية أجزاء عبر المحيط الأطلسي والشرق الأوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي والمحيط الهادي.

ومن التحديات الجديدة المرافقة للمشروع، ضرورة إيجاد طريقة تمنع سمك القرش من قضم الكابل عند مدّه في المحيط، والاتفاق حول نقاط الوصول. وأن تكون جميع مضخمات التكنولوجيا الضوئية مطمورة كل ٤٥ أو ٨٥ كيلومتراً على امتداد الكابل. وتعمل المرددات الكهرضوئية عند نقاط الوصول، على إعادة توليد الإشارة عند مستويات أعلى من الطاقة لدعم السلسلة المتتالية من المضخمات المطمورة تحت البحر، وتبلغ الكلفة التقديرية للمشروع نحو ١,٥ مليار دولار.



ضريح هاليكارناسوس بناه من الرخام أشهر المعماريين والنحاتين الإغريق ليضم رفات موسولس الحاكم الإقليمي

أما اليوم فإن الالكترونيات لا يمكن الاستغناء عنها وهي تمثل عجائب الدنيا الحديثة التي تستهلك يداً عاملة كثيفة وأموالاً طائلة ومصادر كثيرة. وهذه تحمل اسم مشروعات جبارة «mega projects»، وقد وصفتها مجلة سبكتروم الأمريكية بأنها: «مشروعات عملاقة وجريئة ومكلفة».

ولو قيض للفرعون المصري أن يعيش حتى يومنا هذا، ولو خطر بباله أن يبني هرماً جديداً، فلعله لن يتمكن من ذلك دون أن يستخدم تصميماً يتم التوصل إليه بالكمبيوتر (CAD Computer aided Design)، وأن يستخدم آليات تعمل بالليزر لقطع الأحجار، ومعابر يتم مسحها بوسائل كهرضوئية. وبالطبع لابد من توافر

في الوقت الذي تبني فيه ماليزيا أعلى مبنى في العالم، فإنها تسعى إلى تحقيق تلاؤم وتوافق بين التكنولوجيا الحديثة والقيم الإسلامية

مركز للبحوث متقدم خلف السماء

القوتان اللتان كانتا تتسابقان إبان الحرب الباردة، رصتا الصفوف الآن في محاولة لبناء مختبر يدور حول الأرض

يتسع لستة أشخاص. والعد العكسي لهذا المشروع ذو الكلفة الأعلى في تاريخ غزو الفضاء قد ابتدأ وهو الآن قيد التنفيذ. وعندما يستكمل إنجاز المحطة (وهي تسمى اختصاراً ISS)، فإن كلفتها التقديرية ستبلغ ١٠٠ مليار دولار من أجل الإطلاق والإنشاء والتشغيل، وستكون أبعادها من الطرف الأول إلى الطرف الآخر ١٠٩ أمتار وتزن ٤٢٣ ألف كيلوغرام، وسيكون ركابها الستة قادرين على الطوفان ضمن حجم يقدر بضعف حجم طائرة الركاب بوينغ ٧٤٧.

نفق غوتار

لكي تحافظ سويسرا على بيئتها الطبيعية وتحافظ في الوقت ذاته على حركة النقل القادمة إلى البلاد، فإنها قررت أن تحول قسماً من حركة النقل إلى القطارات. وهناك برنامج مدته ١٥ سنة من أجل تحديث نظام النقل السويسري بالسكك الحديدية. وقد تطلب منها ذلك القيام بحفر نفق طوله ٥٧ كيلومتراً، هو نفق غوتارد تحت جبال الألب.

و تبلغ كلفة المشروع ٢٦ مليار دولار ويتألف من جزأين: ويهدف الجزء الأول: بـاهـن (Bahn ٢٠٠٠) إلى تحديث شبكة السكك الحديدية في البلاد وإعادة بناء توصيلات الخطوط شرق - غرب عند سفوح الألب من أجل تسريع الاتصال بين كل من جنيف وزيوريخ وبازل وبيرن ولوسان. وسوف يستفيد من هذا المشروع قطاعا السياحة والنقل.

إلى السماء عبر البحر

قبل البدء بأعمال إنشاء مطار هونغ كونغ الجديد فوق جزيرة «شك لاب كوك» عمدت حكومة هونغ كونغ إلى إجراء فحص للتربة كما قامت بعمليات استصلاح واسعة لها. ويستوعب مشروع المطار الدولي النمو المتوقع في حركة النقل الجوي على مدى ٥٠ عاماً من الآن، واستفز معارك سياسية شرسة بين بريطانيا والصين. ويتوقع أن تبلغ تكاليف هذا الإنشاء ٢٣ مليار دولار.

وسيتم بناء المطار في طورين: الطور الأول يشتمل على بناء (المدرج) الأول وتجهيزات الخدمات، أما الطور الثاني فيشتمل على بناء مهبط آخر ومحطة موسعة للركاب. وفي الحقيقة فإن مطار «شك لاب كوك» يمثل عشرة مشروعات رئيسة ؛ المطار نفسه بالإضافة إلى برنامج مؤلف من تسعة مشروعات أخرى للخدمات العامة لنقل المسافرين والعمال من وإلى المطار. ويلبي هذا المشروع الطلب الشديد على حركة النقل الجوي إلى هونغ كونغ، فخلال عام ١٩٩٤م قصد مطار هونغ كونغ (مطار كاي تاك) ٢٥,٩ مليون راكب. وهذا الرقم أكبر من الرقم الذي صمم أصلاً للمطار بمليونين، كما يتوقع أن تصل حركة النقل الجوي إلى ٣٥ مليون راكب بحلول هذا العام وإلى ٨٥ مليون راكب في السنة بحلول عام ٢٠٤٠م.

البرجان التوأم في كوالالمبور

هذان البرجان هما أطول مبنيين في العالم، و يفوقان برج مبنى التجارة العالمية في نيويورك



منارة الإسكندرية أول منارة مهمة في العالم. ظلت توجه السفن إلى ميناء الإسكندرية في مصر لمدة ١٥٠٠سنة قبل أن تُدمرها هزة أرضية



اشتملت عجائب الدنيا في النصف الأول من القرن العشـ

بعدة أمتار. والبرجان مرتبطان في المنتصف من خلال «جسر معلق»، وناطحتا السحاب ترتفعان إلى علو ٤٥٠ متراً، وستشكلان قوساً فوق مركز العاصمة الماليزية كوالالمبور.

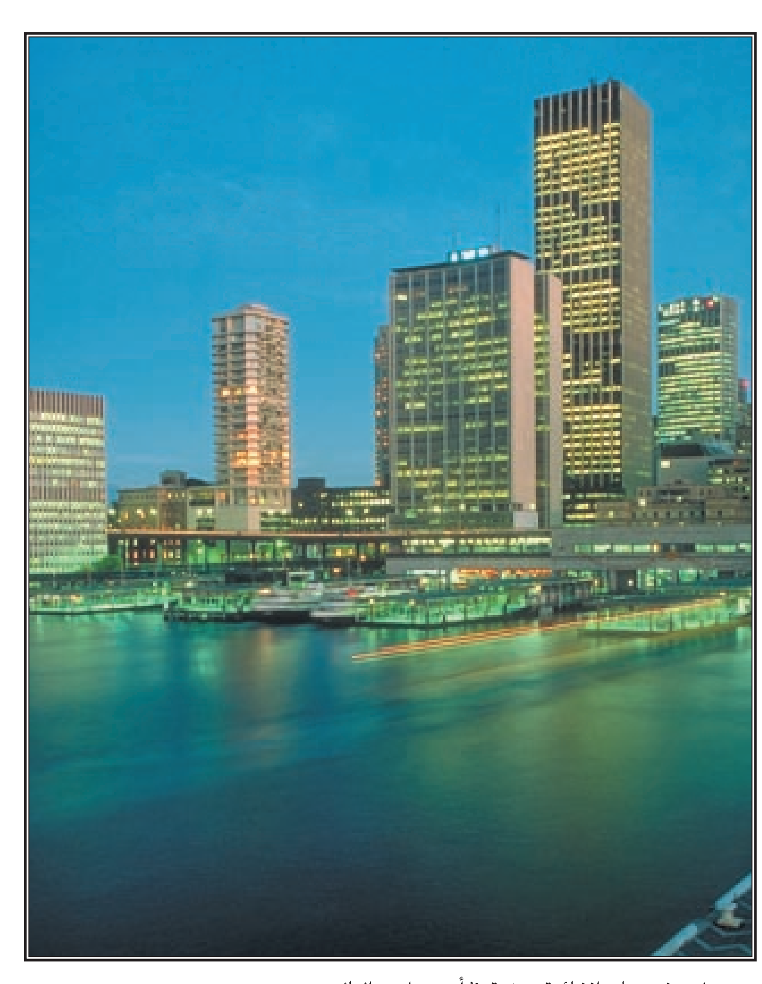
وتجدر الإشارة إلى أنه في الوقت الذي تبني فيه ماليزيا أعلى مبنى في العالم، فإنها تسعى إلى تحقيق تلاؤم وتوافق بين التكنولوجيا الحديثة والقيم الإسلامية. فالجسر المعلق الذي يبلغ طوله ٥٨,٤ متر يعطي انطباعاً بوجود «بوابة» إلى مركز مدينة «كوالالمبور» ويشكل منفذاً لكلا البرجين.

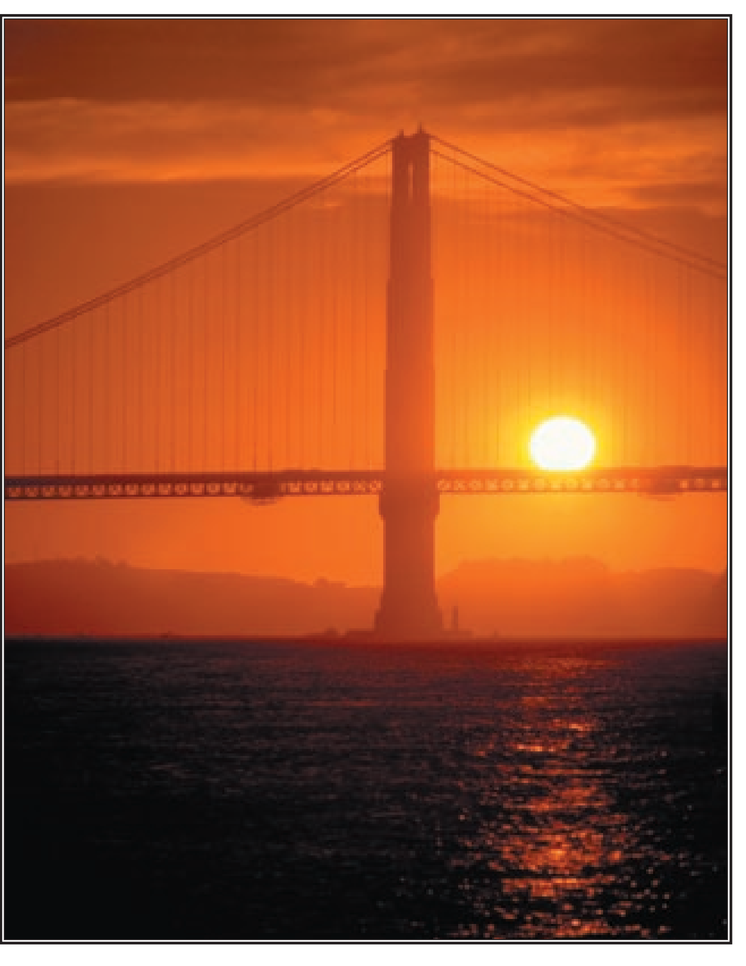
وعند استكمال مشروع استصلاح قلب المدينة، فإن هذا القلب سيضم أكثر من ١,٥ مليون متر مربع من المساحة المكتبية بالإضافة إلى الشقق السكنية، والفنادق ومرافق الاستجمام، ومركز للاجتماعات والندوات، ومركز للأحوال المدنية، ومسجد، ومئات المطاعم والحوانيت والمصارف وهيئات تجارية أخرى. ويمثل المشروع بأسره خطوة جريئة مدروسة لتثبيت أقدام ماليزيا في الأسواق المالية والنفطية العالمية، ويهدف إلى امتلاك تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين دون التفريط بالمعتقدات الإسلامية، وهي الديانة التي تعتنقها الغالبية العظمى من السكان.

«سد المداخل الثلاثة» الذي يجري بناؤه على نهر اليانغتسي في الصين، يستحق أن يكون من عجائب هذا الزمان. ويمثل هذا السد أكثر المشروعات الصينية طموحاً منذ سور الصين العظيم

سد المداخل الثلاثة

مع أن مجلة سبكتروم الأمريكية اكتفت بالإشارة إلى ست عجائب حديثة وتركت تحديد الأعجوبة السابعة للقارئ، إلا إنني أرى أن سد المداخل الثلاثة الذي يجري بناؤه على نهر اليانغتسي في الصين يستحق أن يكون من عجائب هذا الزمان. والسد المذكور يمثل أكثر المشروعات الصينية طموحاً منذ سور الصين العظيم، الذي أنشىء قبل ألفي سنة تقريباً. وسيؤدي السد إلى غمر حوالي ١٤٠٠ قرية، ونقل حوالي ١,٩ مليون نسمة إلى مدن جديدة سيتم إنشاؤها لاحتواء المتضررين من إنشاء السد، الذي يتوقع إنجازه في عام ٢٠٠٩م. ويبلغ ارتفاع السد ١٨٥ متراً وطوله ٢,٠٩ كيلومتر، ومحطته الكهرمائية





ـرين على مشروعـات إنشائية ضخمة في أهم عواصم العالم

تحتوي على ٢٦ عنفة تزن كل منها ٤٠٠ طن، والطاقة الكهربائية المولدة في السد ستبلغ ١٨٢٠٠ ميغاوات، أي بما يعادل الطاقة المتولدة من ١٨ محطة توليد نووية. وحسب تقديرات الحكومة الصينية فإن هذا المشروع سيكلف خزينة الدولة ما يعادل ١٧ مليار دولار أمريكي.

عجائب الدنيا السبع في المستقبل

وبما أن الهندسة هي علم وفن السيطرة على القوى في الطبيعة وتوجيهها لمصلحة الإنسان، فإننا لا نبالغ إذا قلنا أن تاريخ الحضارة الإنسانية هو سجل لتطور الهندسة.

وبفضل المهندس تمكن الإنسان من أن ينهب المسافات نهباً، وأن يحلق في السماء وأن يعلو فوق السحب. وأن يتفوق على الأسماك في السباحة. وأن يرى ما لا يُرى، وأن يطال بسمعه القارات جميعاً. وأن يشجّر الغابات، ويصل ما بين البحار، ويروي الصحارى وهو يحاول تكييف الطبيعة كيفما يشاء.

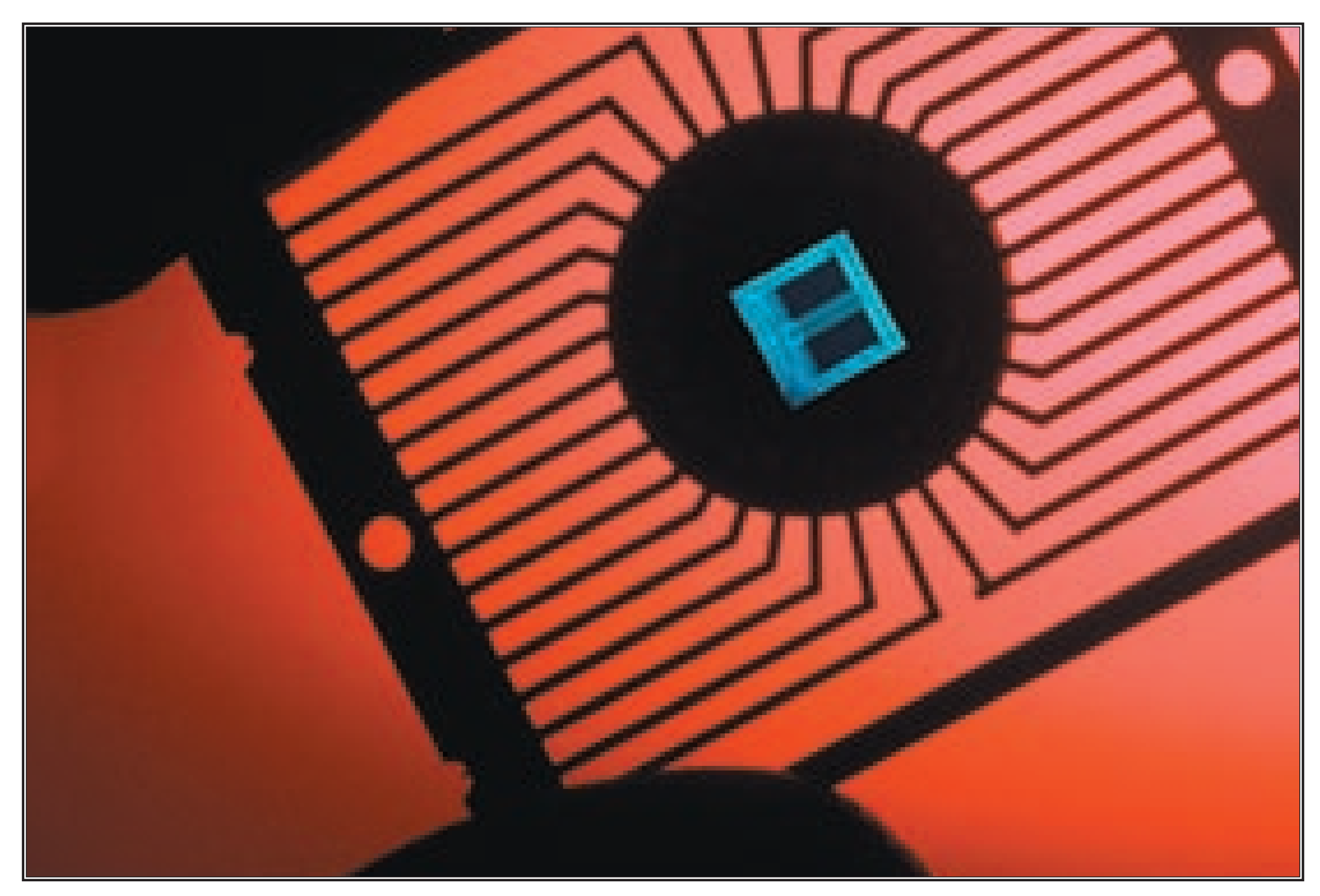
وإذا قلنا أن المهندس نجح في ذلك منذ فجر التاريخ حتى الآن، فهل نتصور أن دوره سيتغير في المقبل من السنين؟.

فمن المتوقع أن يتم خلال القرن القادم تطوير مشروعات هندسية عملاقة جديدة، فالأبنية ستبلغ ارتفاعات أعلى وقد يصل الارتفاع إلى ١٠٠٠ متر، والمركبات الفضائية ستخترق حدود الفضاء المعروفة حالياً، وسيحقق الإنسان حلمه في الوصول إلى الكمبيوتر النانومتري البروتيني، وقد ينجح في وصل قارتي آسيا وأمريكا بإقامة جسر أو نفق فوق مضيق بيرينغ يربط سيبيريا الآسيوية مع ألاسكا الأمريكية.

إن نظرة سريعة إلى «أحلام المهندسين» توضح لنا أن عدداً لا بأس به من هذه الأحلام تحقق، وأن القسم المتبقي منها سيتحقق في القريب العاجل إن شاء الله.

من المتوقع أن يتم خلال القرن القادم تطوير مشروعات هندسية عملاقة جديدة، فالأبنية ستبلغ ارتفاعات أعلى وقد يصل ارتفاعها إلى ١٠٠٠ متر، والمركبات الفضائية ستخترق حدود الفضاء المعروفة حاليا

ليس جديداً القول إن عجائب التكنولوجيا تحيط بنا كما يحيط السوار بالمعصم: فهناك سفن عملاقة تمخر عباب البحر وطائرات



الرقائق الإلكترونية أكثر من ضرورية لإنجاز عجائب الدنيا الحديثة

تحلق بسرعات تفوق سرعة الصوت، وناطحات سحاب تخترق الغيوم، وجسور تتحدى الرياح، ومركبات في الفضاء تقهر المجهول، وحواسيب فائقة السرعة تراقب وتسيطر ... ومع أن كلاً من هذه الإنجازات يمثل أعجوبة بحد ذاته، إلا أننا لم نعد نصنفها كذلك، بل دخلت حياتنا العادية، لذا فإننا نتقبل الأعجوبة الجديدة بكل بساطة ونتعلم بسرعة أن نعتمد عليها.

إن عجائب الدنيا الحالية أصبحت عديدة ومعظمها معقد للغاية ويتألف من أجزاء عدة. ومع أننا قد نتأثر بحجم برج ما أو باندفاع طائرة نفاثة، إلا أن الغالبية العظمى منا غير قادرة على استيعاب التنظيم الدقيق والتخطيط الرائع الموجود في كل من إنجازات عصرنا ودرجة الإبداع التي قادت إلى خلق هذه الأعجوبة.

وندرك جميعاً أن المهندسين والمعماريين الحاليين مستمرون في البحث عن طرق لتجسيد مهاراتهم، إلا أننا نعي كذلك عدم ثبات إبداعاتنا، .. فمن بين عجائب الدنيا السبع الأصلية لم يتبق على سطح الأرض سوى أعجوبة واحدة: أهرامات الجيزة في مصر. أما عجائب الدنيا الأخرى، فلم يتبق منها سوى بعض الأطلال بالإضافة إلى قطع غامضة قليلة.

باختصار، إن عجائب الماضي، قد صممت لتخلد إمبراطورية معينة أو حاكماً فذاً، لكنها في الوقت نفسه تذكرنا - حتى بشكلها المحطم الحالي - أن الطبيعة العابرة المرحلية هي سمة لجميع الأشياء التي أبدعتها الإنسانية في الماضي والتي ستبدعها في المستقبل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)** ﴾ [**الرحمن**: ٢٦, ٢٧]. ■

المراجع

١ - د. مظفر شعبان، المدخل إلى الهندسة، مطبوعات جامعة حلب ١٩٩١م.

٢ - بإشراف أشرف غربال، الموسوعة العربية الميسّرة، دار القلم، القاهرة ١٩٦٥م.

٣ - «الهرم الكبير» موسوعة «الموسوعة»، المجلد رقم ٢، ترادكسيم، جنيف ١٩٨٥م.

٤ - ويلي لي (ترجمة د. محمد أحمد سليم - م. أحمد علي فرج) أحلام المهندسين. دار المعارف بمصر .

٥ - م. إيلين - إ. سيغال (ترجمة كافيا بارودي) كيف أصبح الإنسان عملاقاً؟ دار الفارابي ط١، بيروت ١٩٨٢م.

6. Ch. Edwards. Man - Made Wonders of the World. Cathay Books.
7. D. Dooling Engineering “Megaprojects”: Big, Bold, and Expensive. IFFF Spectrum, October 1995.
8. M. Ashley. The Seven Wonders of the World. Fontana paperbaks, 1980.
9. A. Zich. China’s Three Gorges Dam. National Geographic. Sep. 1997.
10. Life Science Library. The Engineer. Time - Life Books, 1975.

* الصور والرسوم : مطابع التريكي

نداء النخلة الأولى

شعر: حسن فتح الباب

ها هي النخلة المشرئبّة بالطّلعِ
مِلْءِ الفضاء
حاورتْ شرُفاتِ الغمامِ
عروساً من الحورِ
سابحة في الضياء
ترشف النور من نبع (بدرٍ)
تُرَوِّي القلوب الظماء
لم تزل كلما هزها الوجد شوقاً إليهِ
تغنت بنجوى (حراء)
ثم مالت مع الريح نشوى
بما ادخرت من حنين
من تُرى زانها فازدهت كبرياء؟
ذكريات البطولات والفاتحين؟
أم أغاني الفداء ؟
حمحمات الصهيل؟
أم حُداء الرِّعاء ؟

* * *

الجذور ارتوت من معين الإباء
والعراجين أعراف غُرِّ الجياد
بين صفين حول المفدى
رسول الهدى المستجاب الدعاء
كم أظلت سرايا العلا والجهاد
بعد نصر على عصبة الأشقياء

* * *

آن للنخلة المشرئبة للنورِ
أن ترانا نجيب النداء
ونلُمُّ الشتات
لنصون الحياة
ونقيم الصلاة
في حمى الأنبياء .

تجربة الهداية في حي بن يقظان لابن طفيل

بقلم: عادل البطوسي *

لم يتصل تراث أمة من الأمم كما اتصل تراثنا العربي، وظهر هذا التواصل الحضاري جلياً في العديد من مظاهر التاريخ العربي. ومن مجالات هذا التواصل التراثي الأدب القصصي «الفلسفي»، ومنه قصة «حي بن يقظان»، التي صيغت على يد أربعة من أعلام الإسلام أربع صياغات. فقد كتب الشيخ الرئيس «ابن سينا» (المتوفى ٤٢٨هـ) أول صياغة عربية لها وهو في سجنه بقلعة «همدان»، ويعد ابن سينا واحداً من أبرز الفلاسفة الذين أحاطوا بالتراث الفلسفي القديم وحلقوا به في فضاءات أرحب.

وقد شاع ذكر القصة من سجنه وسمت إلى ارتفاعات شاهقة في تراثنا العربي فالتقطها - بعد ابن سينا بقرنين - ابن طفيل (المتوفى ٥٨١هـ) فاستبقى عنوانها وأعاد صياغتها على نحو جديد أخرجها من إطار القصة إلى عالم الرواية.

وقريب من زمن «ابن طفيل» كان زمان «السهروردي» الملقب بشيخ الإشراق (المقتول ٥٨٩هـ) فكتبها وعنونها (الغربة الغريبة). ويمضي زماننا الإبداعي المتواصل حتى العلامة «ابن النفيس» (المتوفى ٦٨٧هـ) الذي صاغها وعنونها (فاضل بن ناطق)، ولكن من رواية «ابن طفيل» [1] شق «حي بن يقظان» سبيله إلى الأدب الغربي، حيث كان هذا الإبداع أوفر الأعمال الأدبية العربية حظاً في التقدير والعناية في أوروبا في العصر الحديث.

أفضل النصوص

تمثل الصياغات الأربع لحي بن يقظان حلقات متوالية من الإبداع الفلسفي الممتد عبر تاريخ حضارتنا الإنسانية. وتقوم هذه القصة إجمالاً على قضية التوحيد الفطري في عقل الإنسان الأول، حين نشأ وحيداً في الأرض، وتؤكد على أهمية الاحتياج إلى الشرائع السماوية التي تقوِّم ضلال المرء حين تتشتت به السبل.

ولو عقدنا مقارنة عابرة بين نص «ابن سينا» ونص «ابن طفيل»، فسنجد أن الأخير تميز في عدة مناحٍ رغم، أن «ابن طفيل» حافظ على نفس العنوان الذي وضعه «ابن سينا» إلا أن نص «ابن طفيل» أرقى بكثير من حيث اللغة إشراقاً وبلاغة، بالإضافة إلى وجود اختلافات بين النصين في أمور عديدة منها:

- قصة «ابن طفيل» أطول وأكثر تفصيلاً منها عن «ابن سينا» فهي أقرب إلى الرواية بمفهومها المعاصر منها إلى القصة القصيرة.
- لم يلجأ «ابن طفيل» إلى الأسلوب الرمزي الدقيق الذي نراه عند «ابن سينا» فهو يكثر من السرد الحكائي في (روايته) في حين يعتمد «ابن سينا» في (قصته) على الإيجاز.
- أفاض «ابن طفيل» في شرح أفكاره في نصه، بينما اكتفى «ابن سينا» بالإشارة إلى مسائل معينة.
- أبرز «ابن سينا» جانباً دقيقاً من فكره الفلسفي في نصه، بينما عبّر ابن طفيل في نصه عن مجمل أفكاره وفلسفته الطبيعية وحكمته «المشرقية»[2].

القصة الفلسفية

يؤكد المؤرخون أن «ابن طفيل» من أصحاب الكفايات النادرة ومن جبابرة المفكرين في القرون الوسطى، فقد نقد بطليموس والفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي وفق رؤية مستقلة في الآراء والاتجاهات الفلسفية، وترك مجموعة من المؤلفات في الطب والفلسفة، كلها مفقودة، ولم يبق منها حتى يومنا هذا إلا قصة (حي بن يقظان) [3] وهي أروع ما كتب في القرون الوسطى، وأحسن ما تفخر به الفلسفة العربية. وقد قال عنها «د. سارتون» إن رسالة «حي بن يقظان» من أجمل الكتب المبتكرة في موضوعها التي ظهرت في القرون الوسطى.

«ابن طفيل» من أصحاب الكفايات النادرة ومن جبابرة المفكرين في القرون الوسطى، فقد نقد بطليموس والفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي وفق رؤية مستقلة في الآراء والاتجاهات الفلسفية

وقد اعتبرت القصة ذات هدفٍ ديني صريح، فهي قصة فلسفية خالدة بلغت من القوة المنطقية حد الروعة في أسلوب جزل سلس، وقد حوت آراء ابن طفيل في أهم المشكلات الفلسفية. ولا نبالغ إذا قلنا إن «حي بن يقظان» مذهب فلسفي كامل تتجلى فيه الدقة بكل معانيها وقد صور فيها «ابن طفيل» (حي بن يقظان) وقد نشأ في جزيرة منعزلة عن العالم لا أثر فيها لبني البشر، فأخذ ينظر ويكتشف ويتأمل ويرقى بالمعرفة حتى انتهى إلى درجة الإيمان بالله.

الاكتشاف والتأمل

تدرج «حي» في تأمله واستنتاجه من المحسوس إلى المعقول ومن الجزئيات إلى الكليات حتى وصل إلى درجة الإيمان بالله، وأدرك بحسه الفطري وجود الله الذي هو سبب لوجود جميع الأشياء. فتجربة «حي» الفطرية، تبدأ من مرحلة اكتشاف يتطهر فيها من فكره العقلي بحكمة وتأمل روحي،

* كاتب من مصر مهتم بقضايا التراث

وذلك من خلال وقوفه على الطبيعة المتغيرة للأشياء، وتلاشي كل شيء واضمحلاله بما يجعله يتيقن إيمانياً أن الله هو الذات الثابتة، وهو صانع التغيير وهو الحق الثابت الوجود. فمفهوم «ابن طفيل» للذات المتغيرة والإرادة الحرة، كان تجسيداً استعارياً لنمو الوعي الذاتي والموضوعي لدى بطل القصة أو على حد تعبير «هيجل» (نمو الوعي بالحرية). فحي يفتقد الإحساس بالحرية، وحينما يدرك أن ذاته أضحت كياناً حراً باستطاعته السيطرة على الطبيعة، تتحول غايته الذاتية إلى التوافق مع إرادة الله. وظل «حي» في جزيرته النائية يتأمل ويتعمق فيما يحيط به من مشاهد الطبيعة حتى اهتدى إلى كثير من حقائقها وأسرارها، وأدرك بفطرته وعمق نظرته وصفاء نفسه ونقاء سريرته وجود القادر الأعظم، فسعى إلى الفناء في محبته والإخلاص له والسعي إلى لقائه والعكوف على مرضاته، وحين ماتت الظبية التي رعته وأرضعته وشب معها وكأنها أمه، حزن عليها «حي» حزناً شديداً وانشغل بأمور موتها [4]، ثم وجدناه يبحث في جسد الظبية لاكتشاف علة موتها وسبب الحياة وسر الموت، ويجول ببصره في الموجودات من حوله فيكشف علتها جميعاً (الله)، ويورد الأدلة العقلية على وجوده متصفاً بأوصاف الكمال كلها ومنزّهاً عن صفات النقص.

الذات الإلهية

يعد نص «حي بن يقظان» نصاً ذا هدف ديني صريح، بل يمكن اعتباره - حسب تعبير جيفوري هارفارم - سيرة ذاتية للهداية ومعرفة (الله الواحد الحق ذو العزة والجلال)، فكل الذوات الأخرى عارفة بالموجود الأبدي الحق، والكل يتلاشى ويضمحل ويصير هباءً منثوراً، ولا يبقى إلا الله الثابت الوجود فهو (الموجود المحض الواجب الوجود بذاته، المعطي لكل ذي وجود وجوده، فلا وجود إلا هو فهو الموجود وهو الكمال وهو التمام وهو القدرة وهو العلم) [5].

وقد جاء بملحق «سايمون أوكلي» لأول ترجمة قام بها لحي بن يقظان: تركز القوالب السردية في القصة على كيفية إدراك الإنسان لعملية الخلق، حيث يوظف «ابن طفيل» القالب السردي لإشراك القارئ في تجربة الهداية. ولا يملك القارئ إلا أن يخوض مع المؤلف تجربته الذاتية في الهداية والإيمان بالله. وقد أكد «إيفان جودمان» أن تطور «حي بن يقظان» من الكائن الفرد إنما يلخص التطور الإنساني فتتكون علاقة بين الكون الكلي والذات الواحدة، فتنحل إشكالية ثنائية الفرد والجماعة، لينفتح الطريق نحو التجلي والإصغاء إلى صوت العناية الإلهية، والوصول إلى الحقائق الكلية السامية، والاهتداء الإيماني إلى الواحد الحق جلت قدرته. فحي بن يقظان هو رمز العقل الإنساني المتحرر من كل سلطة ومن كل معرفة سابقة، ومع ذلك يهتدي بالفطرة والإلهام إلى الحقائق الإيمانية بكل المعاني الروحية بعكوف على محبة الله والإخلاص له والانقطاع لعبادته سبحانه متجرداً من كل ما يشغله عن ربه وخالقه.

ظل «حي» في جزيرته النائية يتأمل ويتعمق فيما يحيط به من مشاهد الطبيعة حتى اهتدى إلى كثير من حقائقها وأسرارها، وأدرك بفطرته وعمق نظرته وصفاء نفسه ونقاء سريرته، وجود القادر الأعظم

المعقول والمنقول

وحينما وفد إلى جزيرة «حي» النائية من يدعى «أبسال» الذي كان يقطن إحدى الجزر القريبة التي كان أهلها يدينون (بدين سماوي معروف .. وشرع إلهي مألوف)، راغباً في أن ينأى بنفسه عن الناس وينقطع لعبادة الله، وجد في «حي بن يقظان» خير صديق، حيث أخذا يعبدان الله عز وجل ويعظمانه ويقدسانه ويفكران في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

وتطابق ما كان «حي» قد وصل إليه بعقله من حقائق الكون والألوهية، مع ما عرفه «أبسال» عن طريق الشرائع السماوية. بعبارة أخرى وافق المعقول المنقول [6]، وهذه من غايات «ابن طفيل» الرئيسة التي استهدفها في نصه مع بيان اتفاق العقل والنقل أي اتفاق الدين والفلسفة والتوفيق بين الحكمة والشريعة.

وحين ارتحل (حي وأبسال) معاً إلى الجزيرة الآهلة بالسكان، ورأى «حي» أحوال الناس، أدرك أن الشريعة إنما جاءت لتنظيم حياة الجماعة وعلاج ما عليه عامة الخلق من تعلق دنيوي، وإيضاح تفاصيل الفرائض والعبادات، ولكنهما آثرا العودة إلى الجزيرة للتفرغ للعبادة وصار «حي» رمزاً للفطرة السليمة و«أبسال» رمزاً للنزوع الصوفي.

وهذه الرحلة من الجزيرة الآهلة إلى الجزيرة النائية، جعلتهما يدركان أن حكمة الشريعة تتجلى في يسرها وبساطتها وسماحتها ومسايرتها عقول الناس حسبما يتيسر لهم فهمه والإحاطة بهم، وتطمئن إليه نفوسهم وتألفه قلوبهم وتأنس به مشاعرهم وأحاسيسهم وتهفو إليه أرواحهم.

خلود القصة

لقد أثرت هذه القصة الخالدة في أوروبا تأثيراً واسع المدى متعدد الجوانب متنوع الدلالات، فمنذ منتصف القرن التاسع والدراسات حولها تتوالى من غير انقطاع وكذلك الترجمات بمختلف اللغات.

والقصة عُرفت - أول ما عرفت - كمخطوطة من مخطوطات (الأسكوريال) ثم ترجمت إلى العبرية عام ١٣٤١م واللاتينية عام ١٦٧١م والإنجليزية عام ١٧٠٨م والهولندية عام ١٦٧٢م والألمانية عام ١٧٢٦م والفرنسية والأسبانية عام ١٩٠٠م.

ولعل في ذلك ما يشير إلى خلودها وقيمتها العالية وأهميتها البالغة لدى الشرقيين والغربيين على حد سواء بالإضافة إلى تأثيرها في الآداب الأوروبية. ■

الحواشي

١ - هو أبوبكر محمد بن عبدالملك بن محمد بن محمد بن طفيل، ولد أوائل القرن السادس الهجري بالأندلس ٥٠٦هـ، ودرس في صغره علوم الدين وتعلم الطب والفلسفة وصارت له مكانة مرموقة في بلاط الخليفة الأندلسي أبي يعقوب، وتوفي «ابن طفيل» سنة ٥٨١هـ بمراكش.

٢ - اختلف المستشرقون اختلافاً طويلاً في تفسير هذه الكلمة ورجح أكثرهم أن تكون نسبة إلى المشرق مقابلة لحكمة المغرب.

٣ - يقصد ابن طفيل بكلمة «حي»: كائن، حي، بشر، إنسان.

٤ - سقراط يقول (الفلسفة انشغال بالموت).

٥ - الهو هو : نظرية كلامية (نسبة إلى علم الكلام) قال بها متكلمو المعتزلة.

٦ - لابن تيمية كتاب عنوانه (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) ولابن رشد فتوى شهيرة عنوانها (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال).

مضادات الأكسدة ... اكتشاف جديد في مواجهة المرض

بقلم: درويش مصطفى الشافعي*

اكتسبت المضادات الحيوية أهمية عظيمة وشهرة عالمية لقدرتها على مقاومة الجراثيم المرضية، لكن مضادات الأكسدة تتفوق عليها بسبب قدرتها على تحصين الجسم ضد غزو هذه الجراثيم والقضاء عليها أيضاً، وبالإضافة إلى ذلك تقي الجسم من أمراض العصر الشائعة المتمثلة بتصلب الشرايين والقرحة المعدية والسكري، وارتفاع ضغط الدم والسرطان وغيرها. فما هي مضادات الأكسدة وما هي فوائدها ومن أين نحصل عليها؟

مضادات الأكسدة هي مجموعة من العناصر والمركبات الموجودة بصورة طبيعية في جميع الخضراوات والفاكهة ومعظم الأعشاب الطبية. وقد جرى التعرف على تركيب وآلية عمل عدد قليل منها، ولعل من أبرز مضادات الأكسدة المعروفة هي الفلافونويدات Flavondoids ومن أهمها الكاتشنات catechines والكاروتينويدات Carotenoids وفيتامين (ج/د) وفيتامين (هـ/ E) والسيلينيوم والزنك وغيرها. وهذه العناصر والمركبات موجودة بوفرة في الفاكهة والخضراوات المختلفة وقشورها، وتوجد أيضاً في بعض الحبوب مثل القمح والشعير والفاصوليا الحمراء والبازيلاء، كما تتوفر في لحوم الأسماك وبيض الطيور.

وتتعدد وظائف وأدوار مضادات الأكسدة لتغطي معظم حاجات الإنسان من الوقاية والشفاء وترميم أنسجة وخلايا الجسم، كما أنها تحمي الحمض النووي الـ (DNA) من تأثير الإشعاعات الضارة والمواد الكيميائية السامة، كما تثبط عمل الشقوق الحرة Free radicals التي تنتج بصورة طبيعية عن عمليات التحول الغذائي والتي تزداد حدة وشراسة في حالة المرض والإرهاق النفسي والجسدي.

ومع أن آلية عمل مضادات الأكسدة غير واضحة بدقة، إلا أن البحوث العلمية والتجارب المخبرية والدراسات الإحصائية والعادات الغذائية لدى بعض الشعوب، أكدت فاعلية مضادات الأكسدة في الوقاية من الأمراض ومقاومتها.



كاتب المقال

الخضار والفواكه مصدر مهم لمعظم مضادات الأكسدة التي يحتاجها الجسم البشري

* كاتب متخصص في مجال النباتات ذات الفوائد العلاجية والطبية

مصادر مضادات الأكسدة

لاشك في أن جميع الأغذية النباتية من خضراوات وثمار وفاكهة ومعظم الأعشاب الطبية تحتوي على نوع أو أكثر من مضادات الأكسدة، ولكن بكميات متفاوتة وقد يقوم مضاد أكسدة معين بعدة وظائف، وقد تشترك عدة مضادات أكسدة أخرى بمهمة واحدة. ولا يخفى على أحد أن كل شعب قد عرف بفطرته تارة، وبخبرته تارة أخرى عدداً من الأغذية التي تتميز بقدرتها على تقوية الجسم وحفظ الشباب ومداواة الأمراض، فعلى سبيل المثال استعمل الناس زيت الزيتون لمعالجة التسمم الناتج عن تناول الأغذية الفاسدة أو الناتج عن عضة الأفعى، واكتشفوا قدرة الرمان والزبيب على منح الجسم القوة والحيوية وإكساب الوجه نضارة وجمالاً، كما عرفوا أن منقوع الميرامية يقوي الأعصاب ويشفي من اضطرابات الجهاز الهضمي. وهنالك قائمة طويلة من الأطعمة التي عرفها الناس منذ القدم واكتشفوا قيمتها واستعمالاتها الطبية.


مطابع التريكي

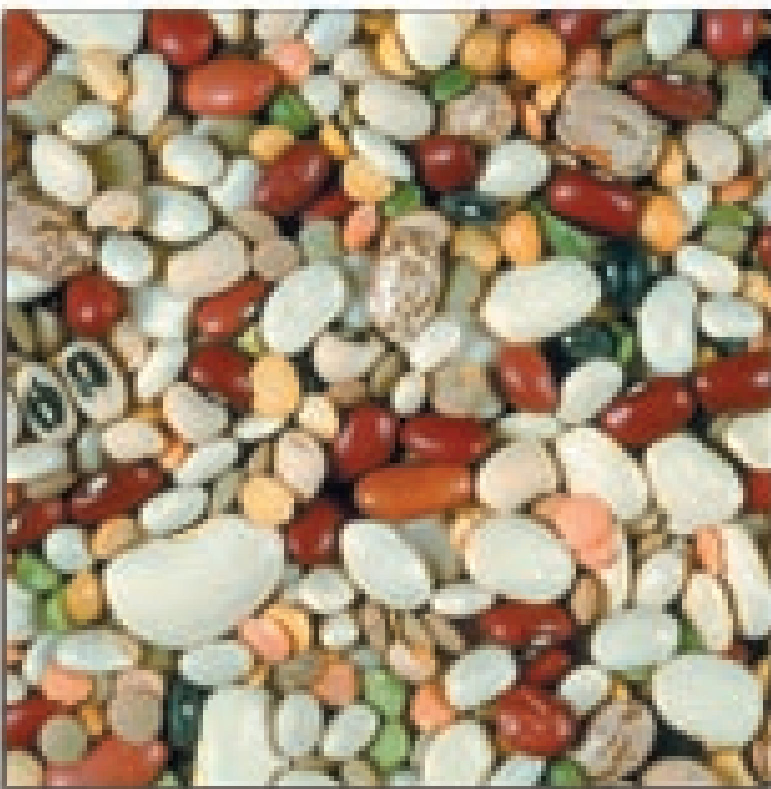
يمنح الرمان الجسم القوة والحيوية



أهم الأغذية والأعشاب التي كشف العلماء غناها بمضادات الأكسدة

- الشاي الأخضر

تحتوي أوراق الشاي الغضة أو المجففة قبل التخمير على أربعة أنواع من الكاتشنات Catechines وقد وجد البروفيسور شيمامورا T. Shimamura من كلية الطب في جامعة شوا Shwoa، أن الكاتشنات تقضي على أخطر الجراثيم المعوية المسماة E.coli O-157 التي تسبب الاسهالات الحادة والدوسنطاريا، وتبطل مفعول سمومها الشديدة المسماة فيروتوكسين Verotoxin. وقد فسر البروفيسور شيمامورا آلية عمل الكاتشنات في القضاء على هذه الجراثيم على أساس أن الكاتشنات تتلف الجدار الخارجي للجراثيم، ولكنه لم يتعرف بعد على


كاتب المقال

البقوليات والحبوب غنية بمضادات الأكسدة


كاتب المقال

يحتوي العنب والزبيب على مضادات للأكسدة تطرد السموم من الكبد والدم


كاتب المقال

لأوراق الشاي الأخضر فاعلية ضد التأكسد لاحتوائها على الكاتشنات

مطابع التريكي

الفلفل الحار والحلو مصدران مهمان لمضادات الأكسدة مثل فيتامين (ج) والكاروتين

آلية تحييد وإبطال فعالية سمومها.

وتقضي الكاتشنات أيضاً على جرثومة H. pylori التي تسبب القرحة المعدية وقرحة الأثني عشر. وقد جاء في بحث للدكتور تاوسونج Taosong أن الكاتشينات تمنع تشكل المواد الجيرية على الأسنان، وتقضي على أخطر الجراثيم الفموية المسببة لتسوس الأسنان مثل الجرثومة العنقودية Streptococcus mutans، وجرثومة الباسيلا Bacillus. ويعتقد عدد من العلماء أن الكاتشنات الموجودة في الشاي الأخضر تمنع تشكل النتروزامينات المسرطنة وتحيد فاعلية عدد كبير من الأنزيمات والمواد المشهورة بقدرتها على أحداث طفرات في المادة الوراثية والتسبب بالسرطان، وذلك من خلال قيام الكاتشينات بتغليف الـ (دي. إن. إيه-DNA) وحمايته من تأثير المواد المسرطنة، ومن ناحية أخرى تعمل الكاتشنات وبالتحديد الأبيجالو كاتشين جاليت (EGCG) على تثبيط عمل الأنزيم الأوروكينيز Urokinase المسؤول المباشر عن نمو الخلايا السرطانية وتكاثرها. وقد جاء من أحد مراكز بحوث السرطان، أن الكاتشينات تبطل فاعلية أحد أخطر المركبات المسرطنة المسماة Hetrocyclic amines التي تنتج عن قلي اللحوم والأسماك.

أمثلة على البحوث والدراسات التي تبين قدرة الكاتشينات ومضادات الأكسدة الأخرى على مقاومة السرطان:

- **أولاً**: أعطى الدكتور اندرسون من معهد السرطان في هيوستن خلاصة الشاي الأخضر لعدد من مرضى السرطان فلاحظ اضمحلال وانكماش الأورام السرطانية.

- **ثانيا**: وجد باحثون من جامعة أوهايو أن المركب EGCG يقضي على الخلايا السرطانية الموجودة في عينات بشرية مأخوذة من الجلد والجهاز الليمفاوي والبروستات دون إلحاق أي ضرر بالخلايا السليمة.

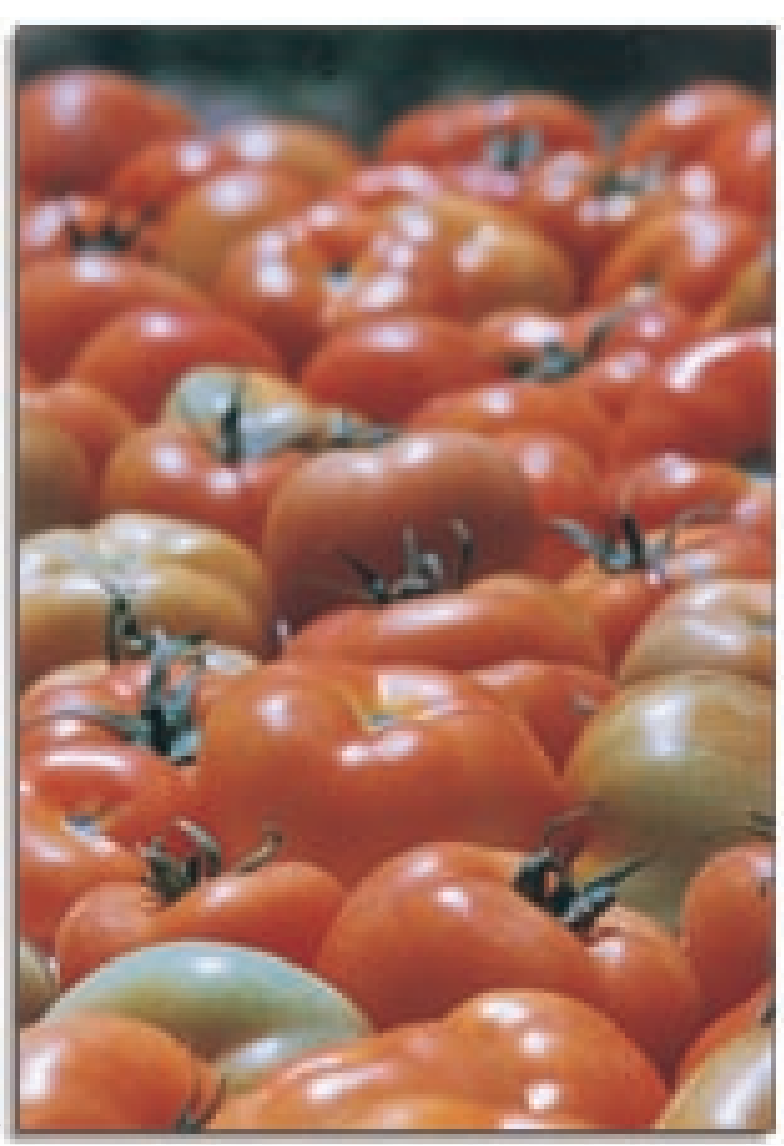
- **ثالثاً**: لاحظ الباحثون في اليابان أن نسبة إصابة سكان مدينة شيزوكا بالسرطان منخفضة جداً، مقارنة مع باقي المدن اليابانية، وقد فسر العلماء ذلك على أساس أن سكان هذه المدينة يكثرون من شرب الشاي الأخضر ويضيفون مستخلصاته في معاجين الأسنان والعلكة والشامبو والصابون، كما وجد الباحثون أن نسبة إصابة المدخنين في اليابان بسرطان الرئة هم أقل بكثير من المدخنين الأمريكيين مع أن اليابانيين أكثر استهلاكاً للسجائر من الأمريكيين. ويعتقد الباحثون أن تناول اليابانيين مقادير كبيرة من الأسماك والشاي الأخضر من أهم العوامل التي تقيهم من الإصابة بسرطان الرئة، و بينت البحوث أن مضاد الأكسدة (EGCG) الموجود في الشاي الأخضر يحافظ على صحة وسلامة القلب والرئتين وذلك من خلال إنقاص مستوى كولسترول الدم الضار (LDL) وزيادة مستوى كولسترول الدم الحميد (HDL)، كما يقوم هذا المركب بمنع تجمع صفائح الدم بشكل مفرط، وبالتالي يقلل احتمالات حدوث الجلطات، ومن ناحية أخرى تعمل مضادات الأكسدة في الشاي خصوصاً الأبيكاتشين (EC) على تنشيط إفراز الأنسولين وتقليل امتصاص السكر والدهون من الطعام مما يحول دون السمنة المفرطة التي تسبب معظم الأمراض.

تتعدد وظائف وأدوار مضادات الأكسدة لتغطي معظم حاجات الإنسان من الوقاية والشفاء وترميم أنسجة وخلايا الجسم، كما أنها تحمي الحمض النووي الـ (DNA) من تأثير الإشعاعات الضارة والمواد الكيميائية السامة

- زيت فول الصويا

يحتوي مستخلص فول الصويا على مركب بني اللون يسمى Phytochemical concentrate، في حين يحتوي مستخلص بروتين الصويا على الأيسوفلافونات Isoflavones التي أصبحت تسوق

الكرز وثمار العنابية والفراولة والتوت البري مصادر مشهورة باحتوائها على مضاد الأكسدة المسمى الأنثوسيانين



اللوكوبين في ثمار الطماطم مضاد قوي لسرطان البروستات وأمراض القلب والشرايين

الآن كمضادات غذائية. وقد أجرى الباحثون تجارب مخبرية عديدة لمعرفة دور مضادات الأكسدة في فول الصويا في منع حدوث السرطان، ومن بين هذه التجارب ما يلي :

تمت زراعة خلايا مأخوذة من رئة ومبايض الهامستر الصيني في وسط يحتوي على مستخلصات فول الصويا، ثم عُرِّضت هذه الخلايا إلى مواد مسرطنة، وبعد ذلك جرى تقويم حالة الحمض النووي الـ (دي. إن. إيه DNA) فتبين أن الحمض النووي ظل على حاله دون أي تغيير .

- ثمار العنابية

تحتوي ثمار العنابية على كمية كبيرة من مضاد الأكسدة المسمى انثوسيانين Anthocyanin . ويقول الدكتور جيمز جوزف أن ثمار العنابية تتفوق بقوتها كمضاد للأكسدة على تسعة وثلاثين نوعاً من الخضار المشهورة باحتوائها على مضادات الأكسدة. ومن هذه الخضراوات الزهرة الخضراء (البر وكلي) والسبانخ والحمضيات والفراولة والتوت البري والكرنب. وقد قام الدكتور جيمز جوزف باختيار مجموعة من الجرذان الهرمة التي فقدت قدرتها على تذكر طريقها في الأنفاق وأصبحت عاجزة عن الحفاظ على توازنها. وقد قام الدكتور جيمز بإضافة مستخلص ثمار العنابية إلى غذائها، وبعد انقضاء شهرين على ذلك استعادت الجرذان ذاكرتها، واستطاعت التجول في مساراتها وأنفاقها بسهولة كما تمكنت من ضبط حركة جسمها والمحافظة على توازنها. ويستنتج الدكتور جيمز أن لمضاد الأكسدة «الأنثوسيانين» دور واضح في تقوية الخلايا الدماغية والعصبية. وفي اليابان تسمى العنابية بفاكهة البصر وذلك بسبب قدرتها على تقوية البصر والرؤية الليلية والشفاء من الماء الأزرق في العينين، أما الدكتورة أمي هويل فتقول إن مضاد الأكسدة الأنثوسيانين والمواد الأخرى الموجودة في ثمار العنابية تحول دون التصاق الجراثيم بالجهاز البولي وبالتالي تحمي الجهاز البولي من الالتهابات الجرثومية.

- الطماطم

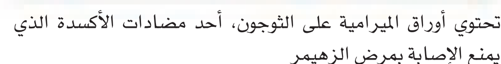
كان العلماء يعتقدون بأن الطماطم تحتوي على مضاد أكسدة واحد هو فيتامين ج ولكن تبين مؤخراً أنها تحتوي على مضاد آخر للأكسدة يسمى اللوكبين Lycopene الذي يمنع الإصابة بسرطان البروستات وأمراض الشرايين والقلب.

- الميرامية

الميرامية أو المريمية شجرة صغيرة عُرِفَت فوائدها الطبية منذ زمن بعيد في عدد من بلدان أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط وكان البريطانيون يقولون If you want to live for long age you have to take sage ومعنى ذلك هو: إذا أردت أن تعمر طويلاً فعليك بتناول الميرامية. وتستعمل الميرامية في الطب الشعبي لعلاج حالات المغص والتسمم الغذائي وآلام المفاصل ومقاومة الحشرات الطفيلية وتنشيط جهاز المناعة عند الإصابة بالأنفلونزا والزكام وغيرها من الأمراض، ومنذ وقت قريب

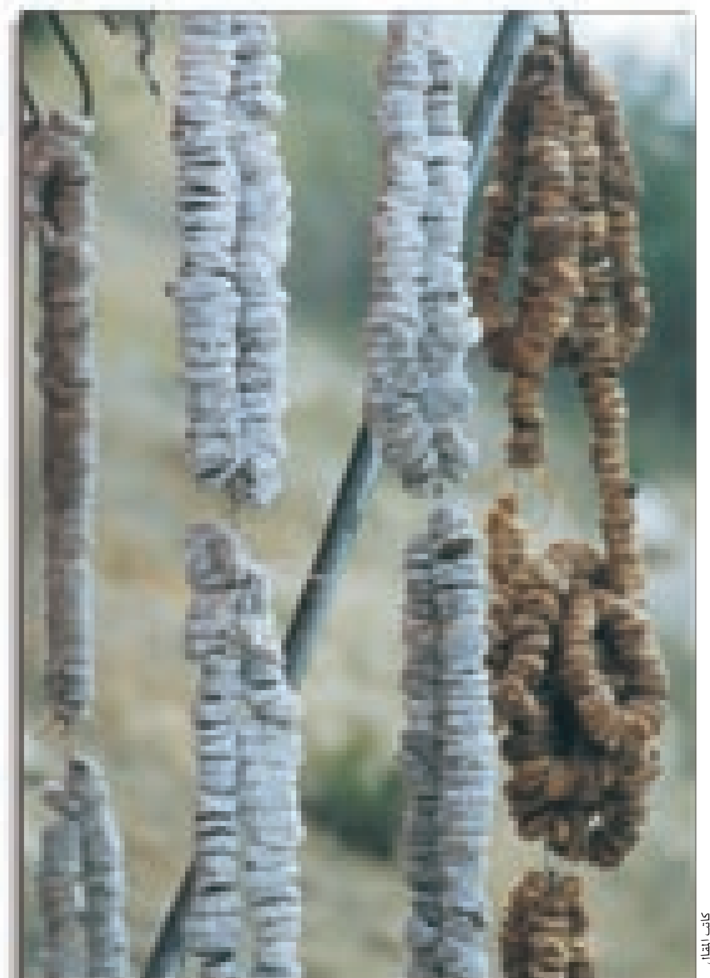






تحتوي أوراق الميرامية على الثوجون، أحد مضادات الأكسدة الذي يمنع الإصابة بمرض الزهيمر

التمر مصدر رئيس للسلنيوم والزنك اللذين يعملان كمضادات للأكسدة ويمنعان سرطان البروستات والغدد التناسلية

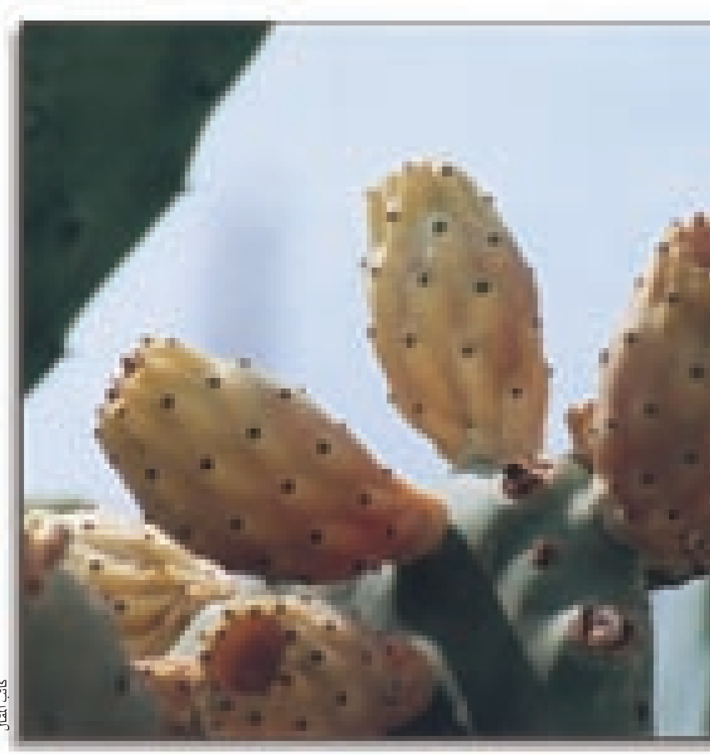


التين المجفف مصدر لمضاد أكسدة يمنع سرطان القولون والمعدة

اكتشف العلماء مضاداً للأكسدة في الميرامية يسمى الثوجون Thujon الذي يعمل على حماية الخلايا العصبية والدماغية من الإصابة بالأمراض، ويسهل حركة الخلايا العصبية ويحول دون إصابتها بالشيخوخة المبكرة كما يمنع الإصابة بمرض الزهيمر.

- فيتامين (ج/C) وفيتامين (هـ/E) والكاروتينويدات (طلائع فيتامين أ/A)

اكتسبت بعض الفيتامينات أهمية جديدة، بعد أن عُرف دورها الكبير في منع التأكسد وإطالة العمر الافتراضي لخلايا الجسم، ومعالجة عدد من الأمراض، وقد حظي فيتامين (ج) وفيتامين (هـ) وطلائع فيتامين (أ) بقسط وافر من البحوث التي بينت دورها في صيانة الأوعية الدموية بشكل عام والمغذية للقلب بشكل خاص، كما تبينت فوائدها في منع حدوث طفرات للمادة الوراثية والمحافظة على صحة الجلد، وذلك من خلال تحييد الشقوق الحرة وحماية الكولاجين Collagen المسؤول عن حيوية وسلامة الجلد. ومن أجل التعرف إلى دور الفيتامينات المذكورة في المحافظة على صحة الأوعية الدموية خصوصاً الشريان التاجي، قام أطباء وباحثون من لجنة الغذاء الأمريكية بإجراء دراسة واسعة على ٨٥٠٠٠ شخص لمدة ثمان سنوات، فلاحظوا انخفاضاً واضحاً في إصابة الشريان التاجي عند النساء اللواتي تناولن مستحضرات صيدلانية من فيتامين (هـ)، وبينت دراسة أخرى انخفاض معدلات الإصابة بالشريان التاجي لدى رجال مدخنين تناولوا الكاروتينويدات.



التين الشوكي ينقي الدم من السموم ويقاوم سرطان المعدة والقولون



الزهرة مشهورة باحتوائها على مضادات أكسدة وفيتامينات وعناصر معدنية كثيرة

وأظهرت دراسة خبراء من جامعة كامبردج أن إعطاء أشخاص جرعات كبيرة من فيتامين (هـ) تتراوح من (٤٠٠ - ٨٠٠) وحدة دولية، أدى إلى انخفاض نسبة حدوث الجلطات القلبية بمعدل ٧٧٪ وانخفاض نسبة تصلب شرايين القلب بنسبة ٤٧٪ .

يعتقد الباحثون أن تناول اليابانيين مقادير كبيرة من الأسماك والشاي الأخضر من أهم العوامل التي تقيهم من الإصابة بسرطان الرئة

وقد وجد الدكتور بروس تروك من جامعة (جورج تاون) في واشنطن أن الأشخاص الذي يتناولون الفيتامينات المضادة للأكسدة (أ،ج،هـ) هم أقل تعرضاً للإصابة بالسرطان، وذلك لأن هذه الفيتامينات تحمي المورث (P53) من الإصابة بالطفرات، علماً بأن هذا المورث مسؤول عن تثبيط النمو السرطاني منذ اللحظة الأولى لظهوره.

أما دور فيتامين (ج) في المحافظة على الصحة ومقاومة المرض، فيتلخص في تقوية جدران الأوعية الدموية وأغشية الخلايا وتحصينها ضد غزو الجراثيم وفي تنشيط عدد كبير من الإنزيمات وتفعيل العمليات الحيوية والتمثيل الغذائي، وإبطال فعالية السموم والشقوق الحرة. وبناءً على نتائج هذه الدراسات وغيرها ينصح الأطباء وإخصائيو التغذية بتناول عشرة أنواع من الخضار والفاكهة يومياً، كما يدعون الرياضيين والمرضى إلى تناول كميات أكبر من عصير الخضراوات والفاكهة، وذلك لأن الجهد العضلي المبذول في المسابقات الرياضية، والأمراض والضغوط النفسية تساعد على تأكسد وترسب الدهون على جدران الأوعية الدموية، وتزيد إنتاج الشقوق الحرة التي تتلف خلايا وأنسجة الجسم، وتستهلك مضادات الأكسدة مما يسبب ضعف مناعة الجسم ويعجل في ظهور أعراض الشيخوخة.

وأخيراً .. لابد من التأكيد على ضرورة الاعتماد على عالم النبات وتجنب تناول الأغذية الصناعية والتدخين والمكوث لفترات طويلة في الأماكن الملوثة، وعدم التهاون في اتباع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي تدعو إلى تناول الطيبات وتجنب الخبائث. ■



المراجع

1. Oguni I, Nasu K, Kanaya S, Nomura T, Yamamaoto S, Hara Y. A. Preliminary study on the protection against cancer risk by green tea drinking. Shizuoka, Japan: University of Shizuoka Hamamatsu college.

2. Hirose M, Hoshiya T, Akagi K, Jakahashi S, Hara Y, Ito N. Effects of green tea Catechins in rat multi-organ carcinogenesis model. 1993, 14: 1549-1553.

3. Ruch R. Prevention of Cytotoxicity and inhibition of intercellular communication by antioxidant catechins isolated from chinese green tea. Carcinogenesis. 1989; 10: 1003 - 1008.

4. http://www. Epnet. Com/ehost/login. Html.

5. Nappo, Fransesco; De Rosa, Nicoletta; Marfella June 1999. Homocysteine; Antioxidants - Therapeutic use cardiovaScular system - Diseases. Risk factors; Blood vessels.

6. Coghlan, Andy. 1999. Carotenoids absorption and adsorption; vegetables health aspects; cancer - Prevention - nutritional aspects; antioxidants. New Scientist 06/05/99 issue 2189, P25, 2/3p, Ic.

مهرجان الأسماء عند العرب

بقلم: علي محمد محاسنه*

يمكن ببساطة أن يقال إنّ خريطة أسماء الأشخاص هي صورة معبرة بشكل أو بآخر عن المرحلة التي تمثلها من تاريخ المجتمع. وهذا بلا شك ينطبق على المجتمعات الإنسانية جميعها. لكن غنى أو تعبير تلك الصورة، يتفاوت حسب المستوى الحضاري لكل أمة. ففي المجتمعات الأقل تطوراً نجد الألوان أقل تنوعاً، وبالتالي فإن المعاني أو القيم التي ترتبط بأسماء الأشخاص تكون أقلّ تنوعاً أيضاً.. وذلك لأنها تتناسب مع حجم أو مساحة إدراك المجتمع لما حوله وتعكس أمانيه وتطلعاته.

وخريطة الأسماء عند العرب هي أغنى مثيلاتها عند شعوب العالم، وذلك لتنوع المؤثرات البيئية التي أسهمت في صنعها. فبنظرة على تشكيلة الأسماء العربية لفترة ما قبل الإسلام مثلاً، نلمح بوضوح التركيز على قيم القوة والشجاعة والكرم والوفاء والغيرة على العرض أو العشيرة من خلال أسماء مستعارة من البيئة المحيطة مثل صخر، حجر، أسد، سيف، المغيرة، حاتم، مقداد، مُطعِم، بحر، مع ملاحظة تفاوت نعومة وجمال اللفظ فيما بين البيئة القبلية الصحراوية ومواقع الاستقرار الحضري. ومقارنة مجموعة أسماء من حياة العرب المعاصرة مع مجموعة من عمق البادية، قد تبعث بسمة عريضة على محيانا، فأين أسماء صخر وطريخم وطخشون وجربوع ومجاشع وعلقمة وحنظلة من أيمن وسمير وسوسن وأنيس ونبيل ونجوى وسهى ورانية ..؟

تشكيلة الأسماء العربية لفترة ما قبل الإسلام تركز بوضوح على قيم القوة والشجاعة والكرم والوفاء والغيرة على العرض أو العشيرة

وعبر استعراض مسيرة التطور الحضاري للعرب من خلال تشكيلة الأسماء، نلاحظ أن أبرز معالم تطورها كان مجيء الرسالة الإسلامية التي طبعت الأسماء بطابعها أو هذبتها بما ينسجم مع الثقافة والقيم الإسلامية.

والتنوع هنا يجعل هذه اللوحة مصدراً ثراً للجمال والطرافة، إضافة إلى المؤشرات الثقافية والتاريخية والاجتماعية. على أن ما أتيح لي ملاحظته حتى اليوم، أقنعني بأن السودان بصفته أوسع الأقاليم العربية امتداداً، يملك أيضاً تنوعاً واسعاً في تشكيلة الأسماء. فهو مثلاً يكاد ينفرد باستخدام الجملة أو شبه الجملة كاسم للفرد مثل: (حَرَدَلّو أو حَارَدَلّو) ويقال أن أصلها (حارَ دَلُّه أو دَليلُه) وتّامّ زينُه والجاك (أصلها «الذي جاءك» أو اللي جاك) قياساً إلى ندرة ذلك في الجزيرة العربية. هذا إضافة إلى جمال الأسماء السودانية المركبة مثل: دار السرور، سِتّ النَفَر، سِتَ البنات، دار النعيم، ست الجيل، ست الدار، نور الشام، زاد الخلا، بحر العاشم، دار السلام، الله معانا، راجين الله.. كأسماء للنساء.

وفي هذا المجال يتندّر السودانيون بطرفة أطلقها ظريف منهم كان يُعَرّف خطيبته على مجموعة من قريباته وتصادف أن كانت بينهن واحدةٌ بدينة وبعد أن قدم الأختَ دار السرور والعمّة دار النعيم (حبكت النكتة في رأسه).. وقدّم البدينة قائلاً (وهذه خالتك دار الرياضة) تشبيهاً بمبنى دار الرياضة العملاق في أم درمان.

ومن وفاء الأخوة السودانيين أنهم لم ينسوا أبانا وأمنا الأولين فأحيوا اسمي آدم وحواء على نطاق واسع، مع إصرار جميل على الاحتفاظ بعبارة (ال) التعريف العربية حتى مع الاسم الأول للشخص كما في البكر، النور..

ولا تقتصر طرافة المبنى والمعنى في الأسماء العربية على وقعها الأول على القارئ أو السامع، بل بما تثيره من معان، من مثل ما ورد في التراث من أن كاتباً لأحد الأمراء قرأ بين يدي الأمير اسمي فلان اليزيدي وفلان الحمصي (الثريدي والخبيصي) فابتسم الأمير وقال «احضروا له الثريد والخبيص قبل أن يقتله الجوع». وما نُسبَ إلى آخر عندما قرأ اسمي الرجلين (عوّاد وعودة) على أنهما عَوّادٌ وعُودُهُ بضم عين (عوده)، فأضاف أحد الظرفاء السامعين .. (ومزماره وطبله أيضاً). كما لايغيب عن الخاطر استهجان بعض الأسماء العائدة لكبار السن .. وتحضرني الآن لقطة يخاطب فيها أحدهم رجلاً في الثلاثين مستهجناً كون اسمه (سمير) (هذا كبرك واسمك سمير ..؟).

أما شاعر العرب أبوالطيب المتنبي فكان له موقف مشهور مع عابر طريق قابله، وكلاهما لا يملك زاداً ولا مالاً ولما عرف حاله وأن اسمه

* كاتب سوداني مقيم في دولة الإمارات العربية المتحدة

(زيتون) وكان أسود البشرة انطلقت شاعرية أبي الطيب:

سموك زيتوناً وما انصفوا لو أنصفوا سموك زعروراً
لأن في الزيتون زيتاً يضئ وأنـت لا زيتـاً ولا نـورا

وثمة ميزة اعتقد أن الأسماء العربية تختلف بها عن معظم الأسماء لدى شعوب الأرض، ألا وهي النسبة للمكان مثل الشامي والمصري والمدني والبصري والدمشقي والمغربي والحجازي والبغدادي، هذا عدا تسميته الأشخاص باسم المكان مثل فلسطين وسوريا للنساء.

والصفات الجسدية كذلك لم يدعها العرب في صياغة اسمائهم مثل أبوالشوارب والأعرج والأكتع وأبوكف، والأبيض. وهناك أيضاً أسماء النبات، وقائمتها جميلة في تنوعها رغم طولها مثل: ملوخية وبامية وبندورة وزعرور وزيتون وياسمين وورد وتفاحة ونخلة وبقدونس ونعنع وزعتر وريحان، ورمان وموزة وقرنفل ولوز ومشمش. وفي السودان أيضاً فاصوليا وعرديب (وهو نبات حامض المذاق).

أما أسماء الحيوان فقد استخدمها العرب منذ القديم، ومن أشهرها: أسد وصقر ونمر وعقاب ومهرة وظبية وغزالة ومها وريم وقط وحصان وجمل وقاعود وذيب وحوت وفيل وحصيني، وفي السودان أيضاً تمساح وعقارب وثور الجرّ (دون ثيران المصارعة أو النطاح).

ونالت المناسبات أيضاً نصيبها من الأسماء فهناك عيد وحرب وغزوة وفرح .. ومن أندر هذه الأسماء (استقلال وتحرير وميثاق).

ولم ينس العرب الظواهر الطبيعية من ذلك فسموا أبناءهم ببعضها من مثل: هلال وقمر وبدر وشمس ورعد ونجم وسهيل وثريا وكوكب وشهاب، كما سموا بمعادن الأرض مثل: ذهب وفضة وألماس وجوهر وزمرد وصوان وصخر. ولا تبعد عنها كثيراً تسميات النساء بأصناف اللؤلؤ خاصة على السواحل العربية مثل حَصّة، قماشة، دانة ولؤلؤه. ومثل معظم الشعوب ارتبط كثير من الأسماء بالمهنة أو الحرفة كالورّاق والصايغ والحدّاد والصابونجي والزنانيري والإسكافي.

وبمنطق الإحصاء لا عجب أن نجد اسم حبيب الأمة ورائدها محمد (صلى الله عليه وسلم)، هو الأكثر انتشاراً بين العرب والمسلمين عموماً سواء بصيغة (محمد) أو أحمد أو المصطفى أو الأمين أو الصادق أو مركبات منها، تتلوه في ذلك الأسماء المركبة حسب السنة الشريفة (خير الاسماء ما حُمِّد وعُبِّد) .. ثم الأسماء ذات الجذور التاريخية نحو عمر وعلي وخالد وصلاح الدين والأشرف وطارق والوليد .. ووائل وإياد.

ومن طرائف الأسماء عند العرب إطلاق اسماء الأدوات على الأشخاص نحو مفتاح، خنجر، منجل، مسمار، جرير، صحن، منقاش، نجر، مهباش، قنديل، غربال، بيرق، شعبة، منديل، خاتم، ودبوس.

لا عجب أن نجد اسم حبيب الأمة ورائدها محمد (صلى الله عليه وسلم)، هو الأكثر انتشاراً بين العرب والمسلمين عموماً سواء بصيغة (محمد) أو أحمد أو المصطفى أو الأمين أو الصادق أو مركبات منها

ولا تفوتنا الإشارة إلى بعض مطبات وقع فيها أبرياء بسبب استخدام اسم مذكّر لأنثى أو العكس، ومنها ما واجهته في خطابات أرسلتها إلى أولياء أمور بعض تلاميذي ذات مرة وكان أحدهم باسم (عصمت) والآخر باسم (سعاد) بعد ما تبين أن الأول كان (الأم) والثاني (الأب). وكما حصل للدكتور يوسف إدريس، الذي قيل أنه كان يتحدث إلى أحدهم ذات مرة قائلاً أنه ينتظر لقاء له مع الأديبة العراقية (بلند الحيدري)، وكانت المفاجأة أن من كان يحدثه هو بلند الحيدري بدمه ولحمه. ومثل ذلك (الناقد) الذي أسرف في الحديث عن (الشاعرة المصرية) أمل دنقل.. (رحمه الله).

ومن أطرف الأسماء في وطننا العربي الكبير هي تلك المستعملة لدى إخواننا في جنوب السودان، فبحكم البيئة الاستوائية ومع بدايات تواصلهم مع العرب، ظهرت تركيبات جميلة من الأسماء منبعثة إما من شدة الدهشة أو الإعجاب بما هو جديد قادم من الشمال، فلا غرابة أن ترى أشخاصاً يحملون أسماء مثل قِرْش، تعريفة، قرشين، مليم، ثور كبير، ثور شين، حكومة، عربية (سيارة)، وِشّ القطر (وجه أو مقدمة القطار)، ميزان مويه (ميزان الماء أو التسوية) أو عكاز المأمور .. وسلك تلفون. إلخ

لكن ما يلفت النظر هو انعدام استعمال أسماء وسائل النقل في هذا العصر لإطلاقها على الأشخاص، مثلما كان في مراحل التحضر الأولى، فلم أقابل ولم أسمع حتى الآن بسيدة أو آنسة اسمها طائرة أو سفينة أو قاطرة أو دراجة ولا عن رجل اسمه قطار أو منطاد. مثلما استعملت في الماضي أسماء الركائب على نحو (مهرة وجمل وقعود وبكرة وجحش وجواد.. وذلول)، هذا إذا تجاوزنا عن الاسمين (لونا وجميني) لابنتي جارنا التوأمين اللتين ولدتا يوم إطلاق المركبتين التوأمين (لونا وجميني) إلى الفضاء في مطلع الستينيات من هذا القرن.

ولا يحسن بنا إغماض العين عن ظاهرة سلبية في هذا المجال، وهي استعارة الأسماء الأجنبية وأحياناً دون إدراك لمعناها الذي كثيراً ما كان (مَقْلباً) .. حيث عادة ما يقوم حامل الاسم برفع مظلمته إلى الجهة المختصة طالباً إنصافه من أبيه وتخليصه من وصمة اسمه الأفرنجي.

وقد يرجع ذلك إلى إحساس البعض بالنقص إزاء الغربيين والاندفاع في تقليدهم أو التشبه بهم.. بينما نرى على الجانب الآخر أن الكثير من الأسماء العربية دخل حياة الشعوب الأوروبية ولاقى رواجاً ونسمعها كل يوم تتردد مثل عمر ونوره وسوسن وشريف.. ولله في خلقه شؤون. ■

الحكاواتي الأخير

بقلم: بربارا نمري عزيز *
تصوير : جورج برمكي أزار
ترجمة : محمد عبدالقادر الفقي

«لعلكم تتذكرون - أيها السادة - حديثنا بالأمس، عن المحاربين المتمردين الذين عقدوا اتفاقاً مع القائد (معروف)، بحيث يعرضون الملك بيبرس للاختبار الذي أعدوه له، ثم عادوا - بعد ذلك - ليخبروا عثمان، سائس خيل الملك، بما حدث، فما كان منه إلا أن حرَضَّهم على العصيان. فماذا حدث لهؤلاء المتمردين؟ لقد زعم عثمان أن الملك قد يهزمهم بسهولة إذا لم يأخذوا للأمر حيطتهم واستعدادهم».

هكذا يستهل الراوي حكايته التي سيقصها في هذه الليلة على المستمعين في قهوة (النافورة). وهو طوال هذا الشهر، يحكي لهم مغامرات ركن الدين الملك الظاهر بيبرس، أعظم سلاطين المماليك شأناً في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والكتاب المخطوط - الذي يمسكه في يديه - هو رواية منمقة تحكي الوقائع الهائلة والانتصارات العظيمة للملك الظاهر بيبرس على جحافل الصليبيين التي غزت المشرق الإسلامي منذ أكثر من سبعة قرون. بيبرس، كما تصوره هذه الحكاية الشعبية. كان حاكماً عادلاً ومقاتلاً باسلاً، يباشر الحروب بنفسه، غير أن الحكاية تسبغ عليه الكثير من الصفات التي لا تستند إلى أي دليل تاريخي، فهي تزعم أنه كان يحقق مآثره العسكرية الفذة معتمداً على شجاعته وقوته، بالإضافة إلى ممارسته فنون السحر والخديعة والمكر. وفي الوقت نفسه، فإن الحكاية الشعبية تجعل عثمان، الذي يعمل سائساً للخيل عنده، شخصاً يتجرأ على مولاه، فيناديه «يا أيها الجندي!». وتصور الحكاية (عثمان) هذا إنساناً مزدوج الشخصية، فهو تارة خلوق طاهر السريرة، وتارة أخرى أفَّاق ونشال، ولا يجد أية غضاضة في أن يمارس بعض الأعمال الخبيثة ضد مولاه وولي نعمته!

والأغلبية العظمى من الجمهور - الذي يستمع للحكاية في هذه الليلة - يلم بالحقائق التاريخية المتعلقة بسيرة الظاهر بيبرس إلماماً كافيا. فقد درس الجميع هذه السيرة في سنوات التعليم، كما قرأوها في كتب التاريخ، بل إن العديد منهم شاهدها في فيلم سينمائي. ولكن شتان بين ما يقرأه المرء في صفحات الكتب وبين ما يسمعه الآن على لسان الحكاواتي! فالأخير يقدم لهم عرضاً مسرحياً فريداً شائعاً لسيرة بطلهم المحبوب، وينفث فيها من خياله وإبداعه فيجعلها تتجسد أمامهم بشخصياتها وأحداثها روحاً ودماً! ولهذا فإن قوة مغناطيسية تجذبهم إلى مقهى (النافورة) للاستماع، لاسيما وأنه ليس هناك مقهى آخر يقدم لهم مثل هذا الحكاواتي المحنك!

* صحفية وباحثة في علم الأنثروبولوجيا ومن المهتمين بالكتابة عن الشرق الأوسط.

أصل تسمية الحكاواتي

كلمة (الحكاواتي) اصطلاح شعبي يطلق في سورية على شخصية يجمع صاحبها بين قدرات الشاعر والممثل والمؤرخ والقاص والرجل الظريف الخفيف الظل. وقد اشتقت لفظة (الحكاواتي) من كلمة (حكاية) التي تدل على القصة أو الأسطورة. والجذر اللغوي للكلمة هو



يحتل الحكاواتي مكانة خاصة في الأدب الشعبي العربي



يقع مقهى النافورة بالقرب من الجامع الأموي بدمشق، وهو يعد أحد أهم المقاهي القديمة بالمدينة

(حكى) بمعنى: روى قصة. أما المقطع (واتي) فإنه يدل على الخبير في الفنون الشعبية التي تقدم في الشارع. والحكاواتي غير «الأدباتي» الذي عرف في مصر كشاعر غنائي متجول يسافر من مكان إلى آخر ليتكسب بشعره. كما أنه ليس كالراوي الذي يحفظ نصوصاً أدبية لغيره ويقصها من ذاكرته ولا يستطيع اللعب بألفاظها أو بسياقها. ويوجد نظير للحكاواتي في كل من مصر والعراق. ففي الدولة الأولى، يطلق عليه (شاعر الربابة) ، وهو أديب شعبي ينشد حكاياته على إيقاع آلة وترية بسيطة تعرف بالربابة. وفي الدولة الثانية (العراق)، يسمى (قصة خون).

أما في (سورية) فإن الحكاواتي يجلس في مواجهة جمهور المقهى، ممسكاً كتابه في يد، وعصاه في اليد الأخرى. وفي بعض الأحيان، فإنه يسرد حكايته من الذاكرة. وقد يقطع روايته بإلقاء بعض القصائد والنكات والقفشات. وفي أحيان أخرى، يقوم بقراءة النص الذي يلقيه. وهو يرتبط بالمقاهي ارتباطاً وثيقاً، ولا يقدم حكاياته إلا في واحدة منها دائماً. ويتحسر بعض الناس على مقاهي الأمس، بعدما خلت من «الحكاواتية» ، ولسان حال الواحد منهم يقول: «آه، ألا ليت القهوة تعود»!

حكاواتي مقهى النافورة

من المؤسف أن مهنة (الحكاواتي) تلفظ أنفاسها الآن! فلم يبق في العاصمة دمشق كلها، بل في القطر السوري بأجمعه، غير ذلك الحكاواتي الذي ما يزال يروي قصصه بانتظام هنا في مقهى (النافورة).

وقد توافد الجمهور على المقهى في هذه الليلة حسب العادة، وأومأ كل فرد من أفراده برأسه ليحيي صاحب المقهى قبل أن يختار مقعده الذي سيجلس عليه، كما أومأ لأبي شادي، الحكاواتي ، وكأنه يلقي عليه السلام. ولما كان أغلب زبائن المقهى من المترددين عليه بانتظام، فإن بعضهم يعرف بعضاً، ولهذا يحيى كل واحد غيره من الزبائن المنتظمين.

ولا توجد في المقهى خشبة مسرح يصطف الجمهور حولها. كما لا توجد ستارة أو أية مستلزمات من مستلزمات التمثيل. ولهذا ، ترى بعض الرجال وقد جلسوا مستندين بظهورهم على الحائط، في حين يجلس آخرون بالقرب من مكان إعداد المشروبات، غير مكترثين - فيما يبدو - بمشاهدة أداء الحكاواتي، ولهذا تراهم منهمكين في تدخين النارجيلة، وربما سرح الواحد منهم بخياله بعيداً، وربما أخذته سنة من النوم!

وينسل صبي القهوة من طاولة إلى أخرى، وهو يحمل بين يديه أناء نحاسياً يتأرجح في كفيه يحتوي على جمر الفحم الساخن. وما يلبث أن يقف ليضع بضع جمرات في نرجيلة أحد الزبائن، ثم ينتقل إلى غيره. وبعد ذلك، يعود فيدور حاملاً صينية أكواب الشاي. ويرتفع صوت الملاعق يرن في أجواء القهوة المملوءة بالدخان. ويأخذ (أبوشادي) مكانه على كرسي مرتفع عن كراسي الآخرين فتتجه معظم أنظار الحاضرين إليه. ويبدأ في قراءة رواية الظاهر بيبرس، متحدثاً باللهجة العامية الشائعة في دمشق تارة، ثم ينتقل ليقلد لكنة أبناء القاهرة، أو

أحد الفلاحين، أو مواطناً من حلب، أو أحد الأتراك، أو غير ذلك. ويلاحظ أن طبقة صوته وأسلوب أدائه يتوقفان على طبيعة الشخصية التي يقرأ عنها. وحينما يصل إلى المشهد الذي تصل فيه الأنباء إلى الظاهر بيبرس بنزول الفرنجة إلى بر الأسكندرية، يصبح صوت الحكاواتي مهيباً وشبيهاً بصوت الملك، حيث يصيح: «الله أكبر، قوموا جميعاً إلى الجهاد. وامتطوا خيولكم». ويأمر بيبرس قواته بالرحيل من القاهرة إلى الأسكندرية، شاهرة أسلحتها لردع الغزاة.

وعند ذاك، يتوقف الحكاواتي قليلاً عن السرد، ويرمق بعينيه الجمهور من أعلى الكتاب. وتنطلق صرخة من أقصى ركن في المقهى، في حين يظل أبوشادي متوقفاً والبسمة ترتسم على شفتيه. أما صاحب الصرخة - وهو شيخ عجوز كبير يبدو أنه كان نائماً - فيدوي صوته: «الرسالة الموجهة إلى البابا. اقرأ الرسالة التي بعثها بيبرس إلى البابا»، مشيراً بذلك إلى الخطاب الذي سيرسله الملك الظاهر قريباً إلى قائد القوات الصليبية. وبالنسبة للمسلمين في ذلك العهد فإن كلمة (البابا) ترمز إلى قائد الجيوش الصليبية الغازية.

ويسر أبوشادي بمقاطعة الرجل له، فتأخذه فورة من حماس، وتتسع حدقتا عينيه وهو يتنقل ببصره في أرجاء المقهى، ويظل على هذه الحال حتى يصبح الجمهور كله آذناً صاغية، وعندئذ ينحي أبوشادي النص المخطوط، ويتقمص شخصية إبراهيم خادم بيبرس، فيصيح بلكنة ابن الشارع المصري: «أقسم بالله العظيم لأكونن رسولك يا مليكنا المفدى إلى قائد الفرنجة. وإن شاء الله سيكون هذا اليوم هو يومه الأخير. ويمتطي إبراهيم صهوة جواده ويذهب إلى حيث معسكر العدو. والآن، ها هو يقف أمام خيمة ملك الفرنجة ويصيح: السلام على من اتبع الهدى. ها أنا قد وصلت إليك يا أيها البابا رسولاً من مولانا الملك القاهر أبي الفتوحات ركن الدين بيبرس. والآن، قف وانهض وخذ الرسالة وإياك أن تغتر بما يقوله قادتك عن النصر، لأن ملكنا سوف يهزمكم بإذن الله»! ويتكئ الحكاواتي على مقعده وكأنه أحد أبناء الملوك حين كان يسرد هذه السطور، وقد أثارت كلماته - التي يصف بها جرأة إبراهيم - أحد الزبائن الجالسين في الصف الأخير بالمقهى فانطلق يصفق. وسرعان ما عمّ الحماس أنحاء القهوة، وازدادت حدة التصفيق. ويتكرر هذا الموقف أكثر من مرة في أثناء سرد الحكاية، حين يبدي الظاهر بيبرس أو أحد جنوده ما ينم عن الشجاعة وعدم الخوف. ويعود الحكاواتي إلى قراءة مخطوطته في حين ينحني الزبائن بأجسامهم إلى الأمام لاحتساء أكواب الشاي، فإذا فرغوا من الشرب اعتدلوا في جلستهم على مقاعدهم، ويستمر الحكاواتي في سرد بقية الحكاية حتى تمر ساعة تقريباً. وعند موقف معين، يلوح أبوشادي بيده، ويضرب أحد الكراسي «بسيفه»! وتنطلق صيحات الإعجاب من الجمهور، ويسمع صوت بعض الضحكات التي يحاول أصحابها إخفاءها، وذلك حين يلجأ الحكاواتي إلى التورية وإسقاط الماضي على الحاضر، أو حين يقلد - بشكل مبالغ فيه اللهجة القاهرية لعثمان، سائس خيول الملك.

وأخيراً يصل أبوشادي إلى لحظة الذروة في حكايته، حين يتحدى «معروف» - قائد مجموعة من المحاربين الفارين إلى الجبل - الظاهر بيبرس على الملأ، قائلاً له : «استل سيفك من غمده يا ملك، وبارزني بمفردك هذا اليوم، لأنه سيكون يومك الأخير!» وهي دعوة لمنازلة بين حليفين سابقين. ولكن قبل أن تتقارع السيوف، بدأت أصوات الهمهمات تملأ أركان المقهى، لأن أبا شادي رفع عينيه عن الكتاب وقال: «وهكذا أيها الإخوان، نصل إلى خاتمة حديثنا اليوم. أشكركم على قدومكم وحسن استماعكم».



يتقن الحكاواتي تقديم الملاحم البطولية المقتبسة من التاريخين العربي والإسلامي

ويغلق الحكاواتي الكتاب، ويهبط سلالم المنصة حيث كان يجلس، ويتنقل بين الجالسين ليتحدث مع أصدقائه، وهو عندئذٍ يبدو شخصاً عادياً لا يختلف عن زبائن المقهى.

سمات مشتركة للملاحم

إن التسلسل في عرض أحداث الرواية يكاد يكون ملمحاً عاماً من ملامح رواية القصص في جميع أنحاء العالم. فقد اتبع هذا الأسلوب عند نشر «إلياذة» هوميروس لأول مرة، كما اتبع في البناء الفني لرواية (ديفيد كوبر فيلد) لتشارلز ديكنز. والحكاواتي ينتهج الأسلوب نفسه في سرد روايته، حيث يعتمد على توظيف تقنية الحبكة الدرامية لتشويق المستمعين والاحتفاظ بجمهوره من يوم إلى آخر. ويعد هذا الأسلوب سمة شائعة تميز الحكايات العربية ذوات الطابع الملحمي مثل سيرة الظاهر بيبرس ومجموعة حكايات ألف ليلة وليلة.

ويتقن الحكاواتي تقديم الملاحم البطولية المقتبسة من التاريخين العربي والإسلامي، مثل ملحمة الملك سيف بن ذي يزن التي جرت وقائعها في بلاد اليمن السعيد إبان فترة غزو الأحباش لها قبل بزوغ فجر الإسلام، ومثل سيرة (بني هلال) التي تحكي قصة هجرة أبناء قبيلة (الهلالية) من شبه الجزيرة العربية إلى شمال إفريقية في القرن الحادي عشر الميلادي، ومثل قصة (عنترة) التي تعد نموذجاً للرواية العربية الخيالية التي تمجد البطولة والفروسية. ويلاحظ وجود أكثر من رواية للملحمة الواحدة، تتباين فيما بينها من حيث الأسلوب واللغة والبناء الفني والسرد. ولا يعرف بالضبط أصل كل رواية. ويعتقد (خيري الذهبي) وهو مؤلف سوري وخبير معروف في أدب السير الشعبية- أن القصص والحكايات العربية - ربما تكون قد تأثرت بالملاحم اليونانية، وأنها بدورها كانت مصدر الإلهام للروايات



تمثل قصة الحب الرومانسي لعنترة بن شداد إحدى الملاحم الشعبية التي حظيت باهتمام الحكاواتية في مختلف أنحاء سورية

الأوروبية المماثلة التي كتبت في مرحلة ما بعد عصر النهضة، مثل الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة.

وعلى أية حال، فإن هذا اللون من ألوان الإمتاع والتسلية، الذي كان منتشراً على نطاق واسع فيما مضى، أصبح الآن نادراً، حتى أن عدداً قليلاً من الشباب العربي قد شاهده. وتقول «ميسون سيوفي» - التي تعيش حالياً في نيويورك - إنها لا تتذكر أنها رأت الحكاواتي، ولكنها استمعت إلى قصصه التي كانت تحكيها لها جدتها وعمتها حين كانت تقضي فترة طفولتها المبكرة في دمشق في الخمسينات. وتضيف : «أنهما لم يطّلعا على هذه القصص في الكتب، ولكنهما كانا يرويانها لها من الذاكرة في عطلات نهاية الأسبوع، حيث كانتا تبدآن القصة من مساء الخميس حتى يوم السبت». وتتذكر «ميسون» كيف كانت جدتها تغير لهجتها مع تغير شخصيات القصة، حتى تناسب الشخصية التي تتكلم بصوتها، تماماً كما يفعل الحكاواتي. وتضحك ميسون وهي تتذكر أن جدتها كانت تترك أفراد العائلة والشوق يستبد بهم لمعرفة ماذا سيحدث لبطل القصة، حيث كانت تتعمد أن تنهي حديثها عند موقف تكون حياته فيه معرضة للخطر. وتضيف (ميسون): «كانت القصص التي تحكى لنا نابضة بالحياة وتحفل بالمواقف الفكاهية الطريفة وبالفروسية، غير أن الحبكة الفنية كانت تتسم دائماً بالبساطة وتتشابه مع بعضها إلى حد الابتذال، ولكننا كنا منبهرين بهذه القصص وبأبطالها الذين كانوا يمثلون لنا ما يمثله روبن هود والرجل الوطواط للقارئ الغربي».

ويروي تيسير السعدي ذكرياته لنا حول الحكاواتي أيضاً. و «تيسير» هذا ممثل إذاعي معروف جيداً في دمشق. وهو يقول: «إن آباءنا كانوا يتبعون الحكاواتي لأنه كان مصدر التسلية الوحيد في زمانهم، حيث كانوا يجلسون في المقاهي للاستماع إليه». وبالنسبة للمواطنين الذين

يجلس الحكاواتي في مواجهة جمهور المقهى، ممسكاً كتابه في يد وعصاه في اليد الأخرى. وفي بعض الأحيان يسرد حكايته من الذاكرة، وقد يقطع روايته بإلقاء بعض القصائد

تجاوزوا الستين، فإن مجرد ذكر لفظة «الحكواتي» أمامهم كفيل بإثارة مشاعرهم وذكرياتهم حول البطولة والبسالة وسرعة البديهة والطرف والنقد السياسي. وهم يتذكرون كل حكواتي عرفوه، لأن كل واحد من هؤلاء الحكواتية كان يتسم بأسلوب مميز وشخصية فريدة».

ويتذكر «تيسير السعدي» واحداً من الحكواتية القدامى كان يدعى (أبوعلي)، وكان يقص حكاياته في مقهى قريب. ويقول: «كان المقهى المجاور لنا يمتلئ عن آخره بالجمهور الذي يفد من كل حدب وصوب للاستماع إليه. وكنا - ونحن صغار - نجري وراءه أينما سار. ولا أذكر أنني شاهدته وهو يروي حكاياته، لكنني عرفت القصص التي كان يلقيها، والطرف التي كان يمتع مستمعيه بها، من خلال جدتي، فهي تتذكرها جيداً. وهكذا نشأت وأنا معجب بالحكواتية، ومازلت منبهراً بهم إلى الآن. ولهذا قمت بجمع النصوص التي كانوا يقرأونها، بل إنني لعبت دور الحكواتي في إحدى التمثيليات الإذاعية التي قمت بأدائها مؤخراً. ولا أدري، فربما كان إعجابي بالحكواتية هو السبب الخفي الذي دفعني إلى التمثيل الإذاعي!».



تحفل كتب التراث بالعديد من الملاحم البطولية

ويقول صاحب مقهى النافورة: «كان أبو أحمد مؤنس -رحمه الله- هو آخر الحكواتية العظام على الإطلاق! لقد اعتاد أن يقدم حكاياته في مقهانا، وكان إذا تحدث امتلأت جميع المقاعد (التي يبلغ عددها ٢٠٠ مقعد) بالمستمعين، ومن الغريب أنه كان يروي قصصه من الذاكرة دون أن ينظر في كتابه». ويضيف: «كان أبوأحمد يحيّي كل فرد يدخل المقهى ويسأله عن أحوال أسرته. وكانت لديه ملكة التقليد، حتى أنه كان يستطيع أن يقلد أية لهجة: الحلبية (نسبة إلى حلب) أو المصرية أو التركية. وكان يقلد صوت السيد وخادمه، ويستطيع أن يتحدث لغة علية القوم، وفي الوقت نفسه يتكلم لهجة الطبقات الدنيا من المجتمع».

مهنة في طريقها إلى الانقراض

بعد رحيل «أبوأحمد مؤنس» بسنين طويلة، أصبح «أبوشادي» هو الحكواتي الخاص بمقهى النافورة. ويؤكد هذا الحكواتي المعاصر على أهمية التمثيل في عمله، وهو يعد الممثل السينمائي الشهير (عباس نوري) قدوته، لأن «عباس موهوب سواء في صوته أو في نبرات ألفاظه أو في تقليده للآخرين». ويشعر أبوشادي بالندم لأن الفرصة لم تسنح له ابداً لدراسة مهنة التمثيل دراسة أكاديمية. وهو يتذكر أنه رأى «أبوأحمد مؤنس» حين كان طفلاً. كما أنه لا يخفي إعجابه بحكواتي آخر شاهده قديماً في مقهى النافورة ويلقب بـ «أبوشاهين»، غير أنه لم يتعلم على يدي أحد منهما، وإن كان قد رافق والده إلى المقهى وهو صغير ليستمع إليهما. وبعد أن شب عن الطوق وتعلم القراءة، طالع بعض القصص الواردة في كتب أبي شاهين، وأحب الملاحم بصورة خاصة.

ويقر أبوشادي بأنه «حكواتي غير محترف»، فما يزال هناك الكثير ليتعلمه. ويقول: «لولا مساندة الحكومة السورية لنا وتنظيمها للمهرجانات والحفلات الرمضانية التي نشارك فيها، لاندثرت مهنة الحكواتي تماماً!» غير أن العديد من خبراء المسرح والفنون الشعبية يرون أن هذه المهنة قد انقرض رجالها بالفعل وأن ما يقدمه أبوشادي من هذا الفن الشعبي أشبه ما يكون بعرض قطعة أثرية متحفية، وأن ما يقوم به هو عمل تجاري بحت. وعلى النقيض من هذا الرأي النقدي الصارم، فإن «سهيل ذكار»، أستاذ التاريخ في جامعة دمشق، يرى أن «أبوشادي» يؤدي عمله بإخلاص، وأنه - بغض النظر عن استمتاع بعض السائحين بمشاهدة الحكواتي في مقهى النافورة - فإن هذا اللون من الأدب الذي يقدمه أبو شادي يتصف بالحيوية، ولهذا فإنه عرضة للتغير والاختلاف عما كان عليه في الماضي.

ويعترف أبوشادي نفسه بأن جمهور اليوم غير جمهور الأمس. وهو يشكو من مواطنيه لأنهم لا يشجعونه، في حين يقدره الزوار الأجانب ويرون في الفن القديم الذي يقدمه لهم شيئاً جديداً.

أما «نبيل حفار»، أستاذ الدراسات المسرحية في أكاديمية الفنون المسرحية بدمشق، فإنه يحترم الحكواتية القدامى بشكل أكثر من احترامه للموجودين منهم الآن، ويقول: «لقد اختفى الحكواتي الحقيقي»! وبرغم ذلك، فإنه يدرس فن الحكواتية وتراثهم بشغف، ويدرك أنه ما يزال هناك الكثير ليتعلمه منهم «خاصة طريقة الأداء الصوتي». وهو يقوم بتعليم طلابه في الأكاديمية «التقنيات الصوتية» عند الحكواتية!

وعلى الرغم من أن الممثل الإذاعي «تيسير السعدي» يتفق مع «نبيل

يعتمد الحكاواتي على توظيف تقنية الحبكة الدرامية لتشويق المستمعين والاحتفاظ بجمهوره من يوم إلى آخر. ويعد هذا الأسلوب سمة شائعة تميز الحكايات العربية ذات الطابع الملحمي

حفار» على أهمية الصوت في نجاح الحكاواتي، إلا أنه يعتقد أن مهارة الحكاواتي الجوهرية تكمن في قدرته على استثارة الجمهور وتحفيزه على مواصلة الاستماع إليه، لا سيما وأن عمله ليس شبيها بالعمل المسرحي حيث توجد افتتاحية وخاتمة وبعد ذلك يسدل الستار ليفصل بين الجمهور وخشبة المسرح. ففي حالة الحكاواتي، عليه أن يبذل جهداً أكبر لأنه يكون في مواجهة مباشرة ومستمرة مع المستمعين. والحكاواتي الجيد لديه قدر كبير من «المشهيات اللفظية» التي يقدمها في البداية لتشويق جمهوره. وكلما قدم قصة نادرة وجميلة ازداد قرباً من قلوب مستمعيه. وهو يعرف مدى تأثيره في حياة كل منهم بحكاياته. ولهذا فإن اندماجه معهم وتعاطفه مع قضاياهم ومع شخصياتهم هو دعامة نجاحه.

ويحكي «تيسير السعدي» قصة واقعية توضح العلاقة بين الحكاواتي والجمهور ودور الأول في تخفيف معاناة الثاني. فقد حدث أن زار الحكاواتي الشهير أبوعلي طبيباً لأنه كان يشكو من مرض السوداء (الكآبة أو المالنخوليا). وكان الطبيب يجهل شخصية مريضه فأخبره: «علاجك بسيط. ما عليك إلا أن ترى الحكاواتي (أبوعلي) وتجلس إليه، فسوف يستمع لمشكلتك ويسري عنك». فقال المريض والحزن يعتصره: وماذا أفعل إذا كنت أنا «أبو علي» نفسه؟!

وقد استطلعنا رأي الرجل الذي يساعد الحكاواتي على تنظيم الاحتفالات الرمضانية، وهو يدعى (بطبوطة)! ويعرف (بطبوطة) هذا تفاصيل الملاحم الشعبية التي يقدمها الحكاواتي. وهو يؤكد على أن عرض هذا الفنان الشعبي تكون ناجحة إذا اندمج فيها الجمهور. وغالباً ما ينحاز المستمعون إلى أحد الأبطال فيشجعونه. وفي بعض الأحيان، ينقسم الحاضرون إلى فريقين، فيقف أحدهم إلى جانب مجموعة من المقاتلين (في الحكاية)، في حين يقف الفريق الآخر مؤازراً خصومهم. وهكذا، فإن الحكاواتي ليس مجرد قارئ يقرأ نصاً مكتوباً أو يلقي محاضرة عامة، ولكنه مبدع يجسد ما يقوله روحاً ودماً!

ويشرح أبوشادي أبعاد علاقته بجمهور المستمعين في مقهى النافورة فيقول: «أشاهد الحاضرين وأشعر بحالاتهم النفسية وأمزجتهم وانتظر حتى أرى آثار ما أقوله على وجوههم». وهو يصف نفسه بأنه «مصلح اجتماعي»، لأنه يحث على مكارم الأخلاق ويستشعر مشكلات الناس ويتفاعل معها. ويقول أيضاً: اعتمد على بعض الرجال الذين يكونون بين جمهوري، بحيث نتبادل ردود الأفعال وأتلقى أجوبتهم السريعة على ما أقدمه لهم، وفي الوقت نفسه فإن



يستخدم الحكاواتي بعض الحركات الإيمائية التي تضيف الحيوية لجوانب السيرة التي يقدمها للحاضرين



يؤدي الحكاواتية أدوارهم بشكل أفضل حين يكون جمهور المستمعين من الزبائن الدائمين المواظبين على حضور حفلاتهم. ويعتمد نجاح كل منهم على مدى اندماجه وتعاطفه مع جمهوره

هؤلاء الرجال ينجحون في استثارة الآخرين للاندماج معي. ويحكي أبوشادي عن مشاركته في أحد المهرجانات الدولية بالأردن قبل عامين ولم يكن معه أحد من رجاله. ولم يكن أحد من الجمهور الضخم الذي حضر المهرجان قد سمع من قبل شيئاً عن قصصه وإن كان يعرف أنه الحكاواتي الأول. يقول: «كانت النتيجة مؤسفة لي، ولهذا ففي المرة القادمة – إن شاء الله – سوف أصر على اصطحاب ثلاثة أو أربعة من أصدقائي لأبثهم بين المستمعين، لأنهم قادرون على بث الحيوية فيهم، ورفع مستوى أدائي الذي يعتمد على تجاوب الحاضرين معي. فالحكاواتي يقوم بمهمته – على أفضل وجه – حين يكون المستمعون من الزبائن الدائمين المواظبين على حضور جلساته. ومع مرور الأيام تتوثق عرى العلاقة بيننا. ولهذا، كلما ازداد عدد الغرباء في المقهى، اختفى الجو الملائم الذي يساعدني على النجاح». ويؤكد ذلك «أبوصالح»، صاحب مقهى النافورة الذي يبلغ من العمر ثمانين عاماً، فهو يرى أن الدور الاجتماعي للمقهى قد تدهور كثيراً في السنوات الأخيرة، غير أنه لا يلقي باللوم على الإذاعة والتليفزيون، ولا على فقدان الصبية القادرين على تعلم القصص التي يرويها الحكاواتية. ولكنه يرى أن طبيعة الحياة المعاصرة هي السبب. فقد قضى معظم حياته في منطقة السوق القديمة بالقرب من الجامع الأموي. وأتاح ذلك له مشاهدة التغيرات التي انتابت حياة زبائن المقهى. فمنذ أربعين سنة، كان معظم الذين يرتادون مقهاه من سكان المنطقة، حيث كانوا يقطنون خلف المحلات التجارية المجاورة أو فوقها، وبعدما يغلقون حوانيتهم في المساء كانوا يفدون إلى المقهى للاستماع إلى الحكاواتي. أما اليوم، فإن أصحاب المحال والحوانيت يقطنون بعيدا عن المنطقة، ولهذا ما أن يغلقوا هذه المحلات حتى يسارعوا بالعودة إلى بيوتهم التي تقع على بعد عدة أميال. وزبائن المقهى اليوم يأتون إليه من جميع أنحاء المدينة، وأغلبهم يكون مصاحباً لبعض السائحين، وقليل منهم يأتي بهدف الاستماع إلى الحكاواتي. وعلاوة على ذلك، فإن عدد المقاهي في هذه الأيام أقل بكثير عما كان عليه الأمر في الماضي. ففي منطقة «العمارة» بوسط العاصمة السورية كان هناك عشرة مقاهٍ منذ بضع سنين، ولم يتبق منها الآن إلا مقهيان. أما شارع بغداد، فقد كان به خمس عشرة مقهى منذ خمسين سنة، ولم يعد به اليوم حتى مقهى واحد.

تكمن مهارة الحكاواتي الجوهرية في قدرته على استثارة الجمهور وتحفيزه على مواصلة الاستماع إليه

أهمية السير الشعبية

على الرغم من تضاؤل دور الحكاواتي وتقهقر هذا اللون من الأدب الشعبي، إلا أن النصوص التي قدمها الحكاواتية تميزت بقيمتها التاريخية في الأدب العربي. فهي تدور حول الروايات التي تتناول سير الأبطال والشخصيات التاريخية المحبوبة مثل الظاهر بيبرس وأبي زيد

يحتاج إلى نوع من الشجاعة والإحساس المرهف بدقائق اللغة العامية وجمالية مفرداتها وتعابيرها. ولو تأملنا في بعض المخطوطات المتعلقة بالسيرة الهلالية – مثلاً – لوجدنا أنها تحتوي على مقطوعات نثرية صيغت بأسلوب أدبي رفيع يبين مهارة المؤلف اللغوية وقدرته على توظيف الشعر والتورية والسجع في الكتابة، تماماً كما فعل شكسبير في بعض مسرحياته.

ويجد دارسو الفنون الشعبية ونقاد الأدب العامي في هذه السير والملاحم كنزاً ثرياً يفيدهم في الوقوف على أسرار تطور اللهجات المحلية واللغات الشعبية، بالإضافة إلى تقويم الأساليب المبتكرة التي ابتدعها الكتاب الشعبيون لتصوير الأبطال القدامى. كما أن هؤلاء الدارسين يقرأون نصوص الملاحم الشعبية للوقوف على العادات الاجتماعية والأخلاق التي كانت تحكم تعاملات الناس في الماضي. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يقفون من خلالها على أحوال النساء في المجتمعات القديمة، وعلاقات الناس بعضهم البعض في تلك الأزمنة، وموقف الأدباء الشعبيين من اللغة التي تعاملوا معها بحرية وبتصرف. ومن المؤسف أن العديد من الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية يفضلون قراءة هذه النصوص في مظانها بدلاً من مشاهدة الحكاواتي الذي أبدع أسلافه في تقديم تلك السير.

ولا يهتم «أبوشادي» بالأهمية الثقافية لتلك النصوص. إذ أن أهم ما يقلقه هو تقلص عدد جمهوره باستمرار، كما أن نشاط زملائه من الحكاواتية أصبح قاصراً على إحياء الليالي الرمضانية التي تنظمها وزارة الثقافة السورية والفنادق والمقاهي. ففي شهر الصيام، يتغير نمط حياة الأسر السورية، فيسعى أفرادها للاستمتاع بالأنشطة الثقافية والفنية التي لا تتكرر إلا في هذا الشهر الكريم. ومن هذه الأنشطة : ليالي الحكاواتية التي يشرف على تنظيمها مقهى العمارة وفندق قصر الشام. وتقام هذه الليالي في كل من دمشق وحلب وحماة حيث يحتشد الجمهور فيها للاستماع إلى الحكاواتية الذين لا يمكن الاستماع إليهم إلا في ليالي رمضان.

ووسط دخان النرجيلة ورنين المعالق في أكواب الشاي، يواصل «أبوشادي» تقديم سيرة الظاهر بيبرس في حلقات لرواد مقهى النافورة القديم. وسواء كان هذا الحكاواتي يقوم بعمله هذا بهدف المحافظة على التراث القديم وإحيائه، أو لأنه يرغب في تسليط الأضواء على لون من ألوان الثقافة العربية الشعبية فإنه يحظى بحب الناس وإعجابهم، وهناك آخرون يستطيعون الاستفادة من نصوص السير والملاحم الشعبية القديمة ويقدمونها في صيغ عصرية جديدة يمكن من خلالها علاج متاعب جيرانهم من البشر. ■



المنطقة المحيطة بالجامع الأموي (الذي يرى في خلفية الصورة)، وهي نفس المنطقة التي يقدم فيها أبو شادي لمستمعيه سير أبطالهم الشعبيين، من خلال الحكايات التي يرويها لهم في مقهى النافورة

الهلالي وعنترة بن شداد. ويمتلك كل حكاواتي الكتب التي تتناول هذه السير، وذلك عن طريق شرائها أو الحصول عليها من أساتذته في هذا الفن. وعادة ما تكون هذه الكتب مخطوطة باليد أو منسوخة من مخطوطات قديمة، وهي تحمل في هوامشها العديد من الملاحظات والإضافات والحواشي. ويعترف «أبوشادي» بأنه يسجل ملاحظاته على هوامش الصفحات، بل إنه قد يضيف أحياناً بعض الصفحات، وقد يضطر أحياناً إلى حذف بعض المقاطع أو إضافة بعضها الآخر حسب ما تسمح به ظروف وأجواء الأداء الذي يقدم فيه فنه للجمهور.

واليوم، فإن محبي جمع المخطوطات النادرة ودارسي الفنون الشعبية يقبلون بشغف على شراء مخطوطات الحكاواتية، غير أن هؤلاء الأدباء الشعبيين يرفضون التنازل عنها في أغلب الأحيان. بل أن السير القديمة المطبوعة التي نقلت عنها بعض هذه المخطوطات تعد اليوم وثائق قيمة وغير عادية، لأنها لم تطبع إلا بكميات محدودة جداً. ويلاحظ أن السيرة الواحدة قد كتبت بأكثر من صيغة، ولهذا فإن تعدد النسخ لا يعني تماثل النصوص. ومن أجل ذلك، تجمع نسخ السيرة الواحدة لتصنيفها وتحليل ما فيها. ويلاحظ أن مخطوطات الحكاواتية قد كتبت باللغة العامية المحلاة بالتورية والسجع، ويشيع فيها التلاعب بالألفاظ واستخدام المحسنات البديعية. ولهذا فإن المؤرخين ونقاد الأدب يعتقدون أن هذه السير والملاحم لا تمثل أدباً حقيقياً، وإن كانوا يعترفون بأن كتابة هذا اللون من الأدب الذي يستلهم أحداث التاريخ

الحياة النباتية في المنطقة الشرقية:

نباتات برية لم تسجل من قبل

بقلم: حميد مبارك الدوسري*

هناك بعض النباتات البرية التي تنمو في المنطقة الشرقية، والتي لم يسبق لأحد من الباحثين الذين كتبوا عن نباتات المنطقة أن سجل وجودها داخل الحدود الإدارية للمنطقة.

وتنقسم هذه النباتات إلى مجموعتين ، المجموعة الأولى نباتات يحتمل وجودها لأنها تنمو قريبة من الحدود الإدارية للمنطقة، أو لأسباب أخرى: مثل سهولة انتقالها مع البذور أو الشتلات الزراعية، ومن ثم نموها في موطنها الجديد لوجود البيئة الملائمة. أما المجموعة الثانية فهي نباتات لا يحتمل وجودها في المنطقة، بسبب صعوبة انتقالها أو نتيجة الاختلاف الكبير في شروط نموها في موطنها الجديد. وفيما يلي نورد أربعاً من تلك النباتات للتعريف بها وبأماكن وجودها.

النبتة الأولى: وتعرف علمياً باسم (كورتشورس دبريس *Corchorus depressus (L.) Stocks*) وهي من الفصيلة الزيزفونية *TILIACEAE* وهي نبتة دائمة، ملتصقة بالأرض، خضراء متفرعة من القاعدة، يبلغ قطرها حوالي ٢٥ سنتيمتراً، وتمتاز بالورق المتعاقب المستطيل والمتغضن عند مستوى الحواف، وهي ذات أزهار باهتة الصفرة، يبلغ قطرها حوالي ٥ مليمترات. والثمرة ذات قرون قصيرة بنية اللون، يبلغ طول الواحدة منها حوالي سنتيمترين بداخلها بذور سود صغيرة جداً. وتنمو هذه النبتة بعد سقوط المطر في أواخر الشتاء، وتستمر إلى أواخر الخريف ثم تموت، رغم أنها نبتة دائمة، إلا إذا توالت عليها الأمطار فإنها تبقى معمرة، وبالإمكان مشاهدة بقايا النبتة جافة في مكانها بعد فترة طويلة لأنها صلبة العيدان بطيئة التفتت.

وتنمو هذه النبتة في الأرض الطينية المنخفضة التي تتجمع فيها الأمطار، وقد رأيتها في ثلاثة مواقع متقاربة غربي حرض، أهمها المكان الذي يسمى العشاوي على خط الطول ٤٨,٥١ درجة شرقاً وخط العرض ٢٤,١٧ درجة شمالاً حيث تنمو بوفرة، وكذلك في أم سدرة على خط الطول ٤٨,٥٦ درجة شرقاً وخط العرض ٢٤,٢١ درجة شمالاً، حيث تنمو بعض النباتات المتفرقة. أما الموقع الثالث فهو إلى الغرب من الموقع الثاني على بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً، وفي هذا الموقع لاتنمو إلا أعداد قليلة من هذه النبتة(١).

ولم أتمكن إلى الآن من معرفة الاسم العربي الفصيح، ولا الاسم



نبتة «كورتشورس دبريس» كما تبدو في بيئة نموها الصحراوية

* باحث سعودي.

الدارج لهذه النبتة لأن أهل المنطقة لا يعرفون لها اسماً، وقد ذكر ماندافيل (Mandaville) (١) أن هذه النبتة موجودة في دولة قطر، ولذا فقد توقعت وجودها قرب الحدود السعودية مع قطر، ولكنني لم أجدها هناك.

النبتة الثانية: وتعرف علمياً باسم (سوراليا بليكاتا *Psoralea plicata Del*)، من الفصيلة البقولية LEGUMINOSAE، وهي شجيرة دائمة خضراء مغبرة ترتفع عن الأرض قليلاً ثم تتفرع إلى فروع مائلة، ويبلغ ارتفاعها حوالي ٧٠ سنتيمتراً، وأوراقها مركبة ثلاثية ناعمة مستطيلة. وهي عريضة من الصدر دقيقة من جهة القاعدة، ويبلغ حجمها (٥ × ١٥) مليمتراً، وهي بارزة العروق متجعدة ومتموجة الحواف. وعلى الفروع والسيقان نتوءات صغيرة بارزة. وأزهار هذه الشجيرة متدرجة اللون من الوردي الفاتح إلى الأبيض، أو من البنفسجي الباهت إلى الأبيض، ويبلغ قطرها حوالي ستة مليمترات، وتكون الأزهار في شماريخ طول الواحد منها حوالي سبعة سنتيمترات. وللثمرة قرون قصيرة منتفخة في كل منها بذرة واحدة. وتبقى الشجرة خضراء يانعة من أواخر الشتاء إلى أواخر الخريف ثم تموت فروعها الظاهرة، وتبقى أرومتها في الأرض في حال سكون لتستأنف دورة حياتية بعد سقوط المطر.

وتنبت هذه الشجرة في الأرض الطينية التي يجتمع فيها المطر، وقد وجدتها في منطقة العشاوي، وهي معروفة لدى سكان المنطقة، ويسمونها شجرة النعام، وقد حدثتني إحدى كبيرات السن بأن طير النعام يحب تلك الشجرة، ولذا سموها شجرة النعام، وقد بحثت عن هذا الاسم في قواميس اللغة العربية ولم أجد له ذكراً، وفي الوقت نفسه لم استطع إلى الآن تحديد الاسم العربي الفصيح لهذه النبتة. وقد ذكر الأستاذ، أحمد محمد مجاهد هذه النبتة ضمن نباتات المملكة دون ذكر مكان نموها (٢)، أما «ماندافيل - Mandaville» فقد توقع وجودها على الحدود الغربية للمنطقة، وفي دولة قطر (٣).

تتفتح الزهور قبل طلوع الشمس وتنكمش بعد الشروق بقليل



ثمار نبتة «كورتشورس دبريس» قبل أن تجف

النبتة الثالثة: وتعرف علمياً باسم (كبارية ديسديا (Capparis decidua Edgew (Forssk.)، من الفصيلة الكبارية CAPPARACEAE، وهي شجرة معروفة عند القدماء باسمها العربي الفصيح التنضب[٤]. والتنضب من كبار الشجرات ويبلغ ارتفاعها حوالي أربعة أمتار، لها خشب، وفروعها كثيرة متشابكة، وشوكها قليل وضعيف، وتورق في أيام الربيع لمدة قصيرة، وهي عبارة عن زوائد حرشفية لاتتجاوز بضعة مليمترات، لذا تبدو الشجرة عديمة الورق. وتظهر الأزهار على شكل عناقيد من ٣ إلى ١٠ زهرات، وهي ذات لون أحمر ولكل منها أسدية طويلة ومبسم قصير. أما الثمرة فتنمو إلى أن تكون بحجم حبات العنب ثم تحمر وتلين، وفيها من ٣ إلى ٥ بذرات ذات لون أبيض، والثمار صالحة للأكل، وطعم اللب حلو طيب أما القشور فطعمها مر، وتستخدم في العلاج الشعبي[٥]، ويزهر التنضب في أواخر شهر أبريل وتنضج الثمار في شهر يونيه.

ولم يكن وجود التنضب في المنطقة الشرقية متوقعاً لأنه شجر حجازي جبلي. وقد جاء في لسان العرب (.. التنضب شجر ينبت في الحجاز وليس بنجد منه شيء إلا واحدة بطرف ذقان)[٦]، وذقان جبل في منطقة الرياض على خط الطول ٤٤،٥٦ درجة شرقاً وخط العرض ٢٢,٤٠ درجة شمالاً [٧]، وقد وجدت شجر التنضب في جنوبي الصمان على بعد حوالي ٣٣ كيلومتراً شمال شرق الحني في مكان يسمى (حواير



زهور النبتة التي تعرف باسم «سوراليابليكاتا» التي تنمو في الأرض الطينية التي يجتمع فيها المطر



نبتة «سوراليا بليكاتا» ، كما تبدو في لقطة قريبة

التنضب من كبار الشجيرات ويبلغ ارتفاعها حوالي أربعة أمتار، لها خشب، وفروعها كثيرة متشابكة، وشوكها قليل وضعيف، وتورق في أيام الربيع لمدة قصيرة

تمتاز شجيرات التنضب بكثافة أوراقها وأغصانها



زهرة التنضب في بداية تكون الثمرة



ثمار التنضب في بداية النضج

السوس) على خط الطول ٤٨,٣٧ درجة شرقاً وخط العرض ٢٥,١١ درجة شمالاً، وفيه حوالي ٤٠ شجرة يسميها سكان المنطقة (السوس).

ومما يلفت النظر أن (ماندافيل Mandaville) قد ذكر الموضع السابق ضمن المواقع التي ينبت فيها نبات يعرف علمياً باسم (Deverra triradiata) ولكن لم أجد هذا النبات ووجدت التنضب بديلاً منه. وفي حديثه عن الأصف Capparis spinosa L. ذكر أن التنضب أحد أنواع هذا النبات، وأنه يوجد خارج حدود المنطقة الشرقية في الشمال الغربي ولم يحدد الموقع بدقة، ومن المحتمل أنه يعني خور السوس على خط الطول ٤٥,٣٣ درجة شرقاً وخط العرض ٢٧,٠٠ درجة شمالاً [٧].

والتنضب من الأشجار المشهورة عند العرب، قال الأزهري (.. هي شجرة ضخمة يقطع منها العمد للأخبية) [٩]، ويأكلون ثمره ويسمونه الهمقع[١٠] والمغد[١١]، وقد ورد ذكره في الشعر كثيراً.. قال عقيل بن علفة المري:

وهل أشهدن خيلاً كأن غبارها

بأسفل علكد دواخن تنضب

لأن دخان التنضب أبيض ويشبهون الغبار الكثيف به[١٢].

وقال آخر :

أنى أتيح لـه حرباء تنضبة

لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

لأن التنضب شجر تألفه الحرابي[١٣].

النبتة الرابعة: وتعرف علمياً باسم (كلوم دروسرفوليا *Cleome droserifolia Del.*) من الفصيلة الكبارية CAPPARACEAE وهي شجرة دائمة، داكنة الخضرة غير عميقة الجذور وقليلة التفرع، وأوراقها سميكة ومتعاقبة، ذات أعناق تبلغ حوالي ثلاثة سنتيمترات، شبه مستديرة وبارزة العروق من الأسفل. ويغطي الورق والنبتة كلها وبر خشن لزج جداً، يترك في اليد سائلاً لزجاً كالعسل إذا لمسه أحد. وللنبتة رائحة قوية، فأزهارها من قنابات، وهي مفردة في آباط الورق، ولها أعناق تبلغ حوالي ٣ سنتيمترات، والثمار على شكل قرون مقوسة، سمك الواحد منها ثلاثة مليمترات وطوله (٢٠ - ٣٠) مليمتراً، والثمار مليئة بعدد وافر من البذور الصغيرة بنية اللون، وقد لاحظت أن الحشرات لا تعيش عليها، كما أن الحيوانات لاترعاها.

وتنبت هذه الشجرة في منتصف شهر يوليه بعد قرابة عدة شهور من انتهاء موسم الأمطار، وتزهر في أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر، وتنضج الثمار في نوفمبر، ثم تذبل فروع الشجرة وتموت، وتستأنف دورة جديدة في شهر مارس إذا نزل المطر وإلا فإنها تختفي.

دراسة خارطة النباتات البرية في المنطقة الشرقية تستلزم جهوداً علمية للمتخصصين ورحلات ميدانية كثيرة لمواقع النباتات

ومنابتها هي الأرض الجيرية البيضاء التي لا تنبت العشب عادة، وقد حفرت عن جذورها فوجدتها في جير أبيض ناعم جاف ليس فيه أدنى رطوبة وليس حوله أي تراب أو طين، وهي تكثر في الأرض الجيرية غرب وشمال وشرق منطقة حرض، على خط الطول ٤٨,٥٧ درجة شرقاً، وخط العرض ٢٤,١٥ درجة شمالاً، وخط الطول ٤٩,٧ درجة شرقاً وخط العرض ٢٤,١١ درجة شمالاً.

ولم يكن وجود هذه الشجرة متوقعاً لأنها من النباتات التي تنمو في اليمن وعمان[١٤]، وشمال الحجاز [١٥]، وهي من النباتات العربية المستخدمة في العلاج الشعبي[١٦]، وقد سألت سكان المنطقة فلم يعرفوا لها اسماً، ولم استطع إلى الآن معرفة الاسم الفصيح لها، وتشير بعض المراجع إلى أنها تسمى (الزعف) في عمان [١٧].

وأخيراً، فإن هذه الشجرة تحتاج إلى المزيد من الدراسة، لأن المعلومات التي ذكرتها المصادر لا تتطابق تماماً مع هذه الشجرة، وفي اعتقادي فإن الاختلاف في حجم الورق وارتفاع النبتة وتحولها إلى نبات دائم لا يمكن أن يعزى كله إلى فوارق التربة.

ويمكن القول إجمالاً بأن دراسة خارطة النباتات البرية في المنطقة الشرقية يستلزم جهوداً علمية للمتخصصين ورحلات ميدانية كثيرة لمواقع النباتات المختلفة لدراستها من الناحية العلمية وتحري فوائدها الطبية أو الغذائية. ■

الهوامش

1. Mandaville, Flora of Eastern Saudi Arabia P. 112.
2. A. Migahid, Flora of Saudi Arabia P 336.
3. Mandaville, East. Sau, Ara. P181.

٤ - انظر المزيد عن هذه الشجرة في كتاب (النبات البري في المنطقة الشرقية) ص ٤٦ لكاتب المقال.

5. Ghazanfur, Arabian Medicinal Plants P 74.

٦ - لسان العرب : مادة نضب.

٧ - دليل المواقع الجغرافية بالمملكة العربية السعودية، إعداد الجمعية الجغرافية السعودية، كلمة (ذقان) .

8. Mandaville, flora of East. Sau. Ara. P. 231, 126.

٩ - تهذيب اللغة للأزهري : ١٢ : ٤٧.

١٠- جمهرة اللغة لابن دريد: ١٢٩٥.

١١- لسان العرب: مادة مغد مع ملاحظة أن للكلمة معان أخرى كثيرة.

١٢- تاج العروس: مادة نضب.

١٣- لسان العرب: مادة نضب.

14. Miller and Cope, Flora of the Arabian Peninsula and Socotra,vol. 1 P 357.
15. A. Migahid, flora of Sau. Ara. P. 59.
16. Ghazanfur, Arabian Medicinal Plants P. 76.

١٧- المصدر السابق.

* الصور : كاتب المقال

بهارتبور.. جنة الطيور

استطلاع وتصوير: د. محمد يسلم شبراق *

جميل هو الترحال والتعرف على الأقطار، وأجمل ما فيه زيارة المناطق المحمية والمتنزهات، التي تحوي الحياة الفطرية التي أصبح لها عشاقها الذين يأتون إليها من كل حدب وصوب لمشاهدة طائر أو حيوان معين والتمتع بالتوغل في أحضان الطبيعة. وقد بدأ هذا النوع من السياحة البيئية يزداد باطراد خلال العقدين الماضيين حتى أصبح يمثل دخلاً أساسياً لكثير من دول العالم، ففي عام ١٩٨٩م بلغ دخل العالم من سياحة الحياة الفطرية حوالي ٧٦ بليون دولار. وقد استهوتني كثيراً هذه الرحلات السياحية لمشاهدة الحياة الفطرية خاصة الطيور، لما فيها من مغامرة ومشاهدة أشياء لايمكن رؤيتها داخل المدينة، ومن هذه المناطق التي زرتها، المعروفة بكثرة أنواع الطيور المهاجرة منها والمقيمة، منطقة بهارتبور بالهند، التي تعد بحق جنة الطيور.

ففي إحدى رحلاتي العملية للهند في يناير من عام ١٩٩١م، تمكنت من مرافقة الدكتور أسد رحماني، الذي عملت معه في دراسة الحبرو العربي في منطقة تهامة، خلال إحدى جولاته التفقدية لبهارتبور. وقد كان في استقبالنا في محطة القطار شابان في العشرينيات من العمر، وقد علمت منهما لاحقاً أنهما يدرسان الطيور المهاجرة في بهارتبور، وبعد أن ألقيا عبارات الترحيب بلغة إنجليزية محلاة باللكنة الهندية استقلينا سيارة جيب قديمة إلى مقر مركز البحوث ببهارتبور التابع لجمعية بومباي للتاريخ الطبيعي، وقد تبادلت معهما أطراف الحديث خلال مشوارنا للمركز تمحور حول ماهية الطيور التي سوف أشاهدها هناك. وقد سعدت جداً عندما علمت منهما أن أسراب طائر الغرنوق السيبيري قد وصلت لبهارتبور، وإن كانت بأعداد قليلة جداً بلغت عشرة طيور فقط ويعد هذا الطائر الأبيض الريش من الطيور الكبيرة الحجم، حيث يصل طوله إلى المتر ونصف، وهو من الطيور المعمرة التي تصل أعمارها إلى أكثر من ٨٢ حولاً. ولكن بسبب الصيد الجائر وتدهور مناطق تعشيشه في سيبيريا، بدأت أعداده بالتناقص بشكل كبير خاصة



كاتب الاستطلاع (إلى اليمين) خلال جولته وبرفقته الدكتور أسد رحماني مدير جمعية بومباي للتاريخ الطبيعي

* باحث في المركز الوطني لبحوث الحياة الفطرية في الطائف.

المجموعة التي تهاجر إلى الهند، التي تعشش في مستنقعات غرب سيبيريا. وقد وضعه علماء الطيور على قائمة الطيور المهددة بالانقراض في العالم، وقد بدأ الكثير من الجمعيات العالمية منها جمعية الغرانيق العالمية بالولايات المتحدة الأمريكية، بإكثار هذا الطائر ودراسته وإطلاقه في مناطق تعشيشه في سيبيريا. وهناك مشروع آخر يعد له الآن في بهارتبور يتلخص في إطلاق بعض الطيور الصغيرة من هذا النوع والمرباة في الأسر داخل بهارتبور عند قدوم المجموعات المهاجرة، حتى تهاجر معها خلال عودتها إلى مناطق تعشيشها في الشمال. وبعد نصف ساعة من السير بالسيارة وصلنا إلى مركز البحوث وكان باستقبالنا الدكتور باداش وهو متخصص في دراسة الجوارح بالمحمية ومشرف على المركز، وقد طلبنا منه إعداد برنامج لزيارة بهارتبور وإعطائنا نبذة عنها، ولضيق الوقت أجلنا زيارة المتنزه إلى صباح اليوم التالي.

تقع بهارتبور في ولاية راجستان، جنوبي العاصمة الهندية «دلهي» وتبلغ مساحتها ٢٩ كيلومتراً مربعاً، وهي تتكون من عدة بحيرات ومستنقعات صناعية أقامها أحد المهراجات بالمنطقة في نهاية القرن الماضي وذلك لاجتذاب الطيور إليها

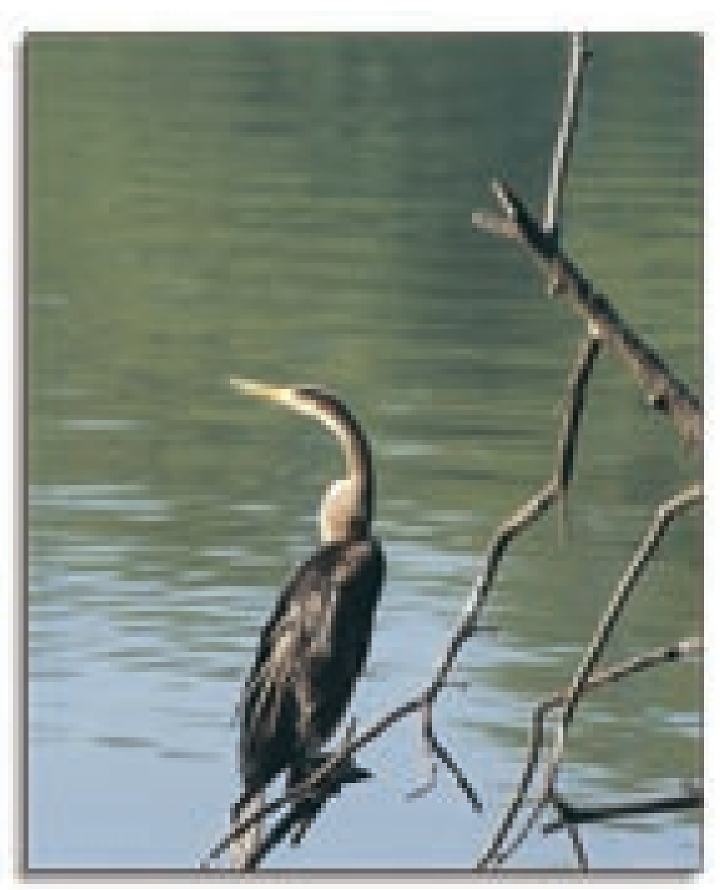
تقع بهارتبور في ولاية راجستان، جنوبي العاصمة الهندية «دلهي» وتبلغ مساحتها ٢٩ كيلومتراً مربعاً، وهي تتكون من عدة بحيرات ومستنقعات صناعية أقامها أحد المهراجات بالمنطقة في نهاية القرن الماضي وذلك لاجتذاب الطيور إليها ومن ثم صيدها، ويمكن التنقل بين هذه البحيرات من خلال ممرات يترامى عرضها بين ٣ إلى ٥ مترات، مما يمكن المتجول من السير بين هذه التجمعات المائية. وفي عام ١٩٥٨م زار المنطقة الدكتور سالم علي، عالم الطيور المسلم المعروف ولاحظ تنوع الطيور فيها وكثرتها، فقام بحملة لحماية هذه المنطقة ومنع الصيد فيها، وبالفعل نجحت الحملة وصدر قانون عام ١٩٦٤م بمنع الصيد داخل بهارتبور، وقد سلمت في ذلك الوقت إلى قسم الغابات التابع لولاية راجستان لصيانتها. وفي أغسطس من عام ١٩٨١م تم إعلانها كمتنزه وطني سمي بمتنزه كيولادو جانا الوطني.

وهناك مصدران للمياه، التي تغذي البحيرات والمستنقعات بالمتنزه، أولهما مياه الأمطار والآخر مياه الري. ويبدأ موسم الأمطار في فصل الصيف يوليه وأغسطس وسبتمبر، أما مياه الري فتأتي عبر قنوات من بحيرة أجان، التي تقع إلى الغرب من بهارتبور، وفي الشتاء يبدأ منسوب المياه بالتناقص إلى حلول موسم الأمطار في الصيف. وقد تم تحديد موسمين مهمين للطيور، الصيفي والشتوي، فالأول تبدأ فيه الطيور المقيمة بالتكاثر ووضع البيض، الذي يكون غالباً في شهر أغسطس. أما الموسم الشتوي فهو مهم للطيور القادمة من المناطق الباردة بالشمال لتنعم بالدفء ووفرة الغذاء والأمان داخل المتنزه.



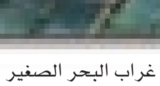
اللقلق أسود الرقبة

وفي صباح اليوم التالي قمنا بشراء تذكرتين لدخول المتنزه وكذلك استئجار دراجتين لنتنقل بهما، فدخول السيارات ممنوع داخل المتنزه وذلك بهدف عدم إزعاج الطيور والحيوانات، وحماية الغطاء النباتي، ومنعاً لتلوث الجو بالأتربة والغازات المنبعثة من العوادم. ويقف عند المدخل رجلان من حراس الغابات، التابعين لقسم الغابات لولاية «راجستان»، لتنظيم الدخول للمتنزه واستلام التذاكر، وقد سألناهما عن أماكن بعض الطيور وفي أي اتجاه نسير؟ وبالفعل أعطانا فكرة سريعة ومختصرة عن ماهية الطيور التي سوف نشاهدها وبطريقة علمية جيدة، حيث كانا يذكران أسماء الطيور باللغتين الإنجليزية واللاتينية، وقد



الغراب الغطاس الهندي ينتظر حتى يجف ريشه





غراب البحر الصغير

أحد أنواع طيور اللقلق التي تبني أعشاشها على الأشجار

تعجبت كثيراً عندما علمت أنهما لا يجيدان القراءة والكتابة لكنهما تعلما أسماء الطيور العلمية ووصفوها لنا بطريقة سلسة ومفهومة.

ومن أول الطيور التي شاهدتها اللقلق المطلي Painted Stork ، الذي ينتشر بشكل كبير بالمنطقة، وقدرت أعداده بحوالي عشرة آلاف طائر، وقد لاحظنا أعشاش هذه الطيور على أشجار السمر المرتفعة، وبها صغاره التي يغلب عليها اللون الأسود، وهذا يعني أن موسم التكاثر لهذا النوع من الطيور قد بدأ بعد موسم الأمطار في فصل الصيف، وأنها سوف تغادر قريباً الأعشاش وذلك قبل حلول الربيع وجفاف المستنقعات. ومن اللقالق الأخرى التي تمت مشاهدتها اللقلق أسود الرقبة Black-necked Stork، وهو بخلاف اللقلق المطلي يعيش منفرداً، وهو من الطيور التي تعشش في المتنزه ، وإن كنت لم أشاهد أعشاشه بالمحمية لكن تصرفاته تدل على أن لديه صغاراً يحرص على تغذيتها.

بعد ذلك انتقلنا إلى مناطق الطيور الغطاسة، التي تخرج من الماء وتقف فوق الأشجار لتجفف ريشها، وقد تمكنا من مشاهدة ثلاثة أنواع من الغطاسات وهي غراب البحر الكبير Great Cormorant وغراب البحر الصغير Little Cormorant والغراب الغطاس الهندي Indian Darter، ويعد الأول من الطيور التي تتكاثر بشكل كبير ببهارتبور، وقد علمت من مرافقي أنه خلال فترة سابقة كانت معظم

البلشون الرمادي



طائر أبو منجل، الذي يمتاز ببياض ريش جسمه وسواد ريش رقبته ورأسه



يتربص البلشون الأبيض الكبير بفريسته

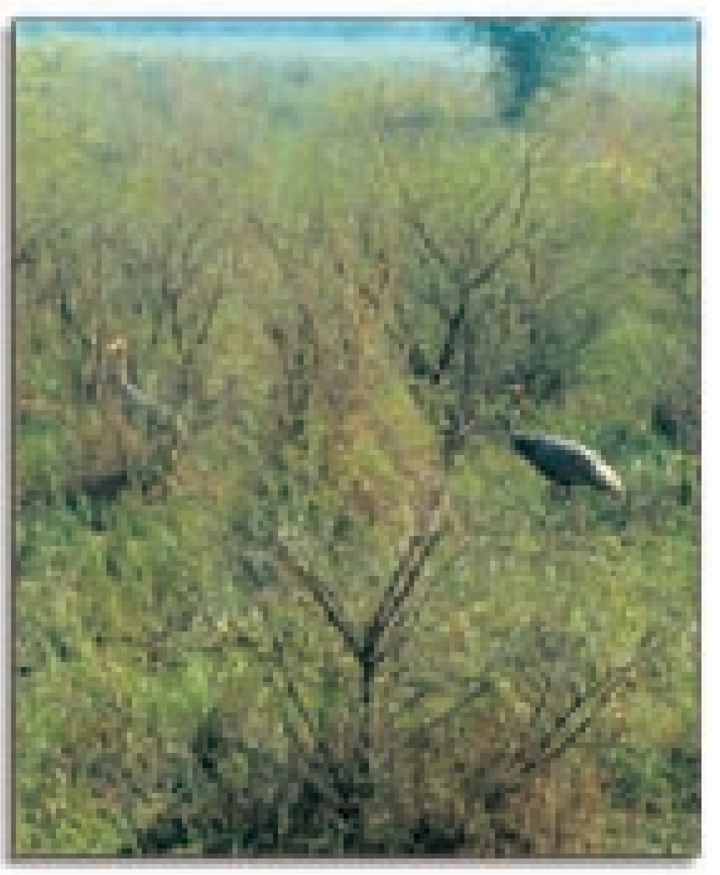
بيض غراب البحر الكبير غير ملقح ولا يعرف إلى الآن سبب هذه الظاهرة.

بعدها انتقلنا بالدراجة الهوائية إلى منطقة أخرى لمشاهدة طيور البلاشين، ومن حسن حظنا شاهدنا طائرين هما البلشون الرمادي Grey Heron والبلشون الأبيض الكبير Great White Heron، وكانا يقومان بحركات بهلوانية مضحكة، فتارة يقفزان يميناً وتارة يساراً، وذلك في محاولة منهما لاصطياد بعض الأسماك الصغيرة في المستنقع.

من حسن حظنا أننا شاهدنا طائرين هما البلشون الرمادي Grey Heron والبلشون الأبيض الكبير Great White Heron، وكانا يقومان بحركات بهلوانية مضحكة، فتارة يقفزان يميناً وتارة يساراً، وذلك في محاولة منهما لاصطياد بعض الأسماك الصغيرة في المستنقع

وقبل أن ننتقل من هذه المنطقة كانت المفاجأة، فقد كان هناك حوالي أربعة من طيور الغرنوق السيبيري، وهو من أندر الطيور في العالم المهددة بالانقراض، وقد علمت لاحقاً أن هذه الطيور لم تأت إلى بهارتبور بعد تلك السنة. ولرغبتي في الحصول على صور لهذه الطيور البيضاء الجميلة قررنا أن نستأجر قارباً ليقلنا إلى موقع هذه الغرانيق السيبيرية، ويتطلب هذا منا العودة إلى موقع استئجار القوارب والذي أخذ منا حوالي الساعة، ولكن لسوء حظنا حال وصولنا للمنطقة التي شاهدنا فيها الطيور كانت قد انتقلت إلى موقع آخر بالمتنزه، ولكننا تمكنا من مشاهدة أحد طيور أبو منجل الشرقي الأبيض، الذي يتميز بريش جسمه الأبيض، أما رأسه ورقبته فلونهما أسود والرقبة خالية من الريش. وهو من الطيور الحذرة ويعيش دائماً منفرداً، بخلاف الغرانيق التي تعيش أزواجاً، حيث تكون علاقة الذكر والأنثى بعد أن يلتقيا أزلية، لا يعكرها إلا الموت. ومن الغرانيق الأخرى، المنتشرة بالهند غرنوق سارس Sarus Crane، الذي يمتاز بكبر حجمه حيث يصل إلى متر ونصف ولون ريشه أزرق، كما أن الذكر والأنثى يبقيان مع بعضهما طوال العمر ولا يفترقان أبداً. وبعض أنواع من هذه الغرانيق تتخذ رمزاً للحب والوفاء والإخلاص بين الأزواج.

ومن الطيور الجوارح التي شاهدناها في خلال جولتنا بين البحيرات كان النسر أبيض الظهر White-backed vulture، وهو من الطيور المنتشرة في المنطقة، التي يتغذى على الحيوانات والطيور النافقة. كما لاحظنا مجموعات كبيرة من البط والأوز المهاجرة


طائر «الغرنوق سارس» في محمية بهارتبور


النسر أبيض الظهر فارداً جناحيه، ويظهر الريش الأبيض على الظهر واضحاً في الصورة

طيور البط والوز البرية تبحث عن مكان مناسب للتغذية في محمية بهارتبور

صائد السمك يتربص بفريسته



الحمام الضاحك الذي ينتشر في القارة الهندية

وطيور أخرى مقيمة كالحمام الضاحك صائد السمك والطاووس الذي يعد رمزاً للهند.

وخلال عودتنا إلى مدخل المتنزه بعد حوالي خمس ساعات قضيناها في مشاهدة الطيور، استوقفني بعض الكتابات على لوحات صخرية مخطوطة باللغة الإنجليزية عليها تواريخ وأسماء لأشخاص قاموا بالصيد في هذه المنطقة، كان من أبرزها لوحة ذكر فيها أنه تم صيد ٤٢٧٣ طائراً في يوم واحد وذلك عام ١٩٣٨م، عندما نظرت إلى مذكرتي التي أجمع فيها أسماء الطيور وأعدادها التي شاهدتها خلال جولتي داخل المتنزه ، وللأسف كانت أقل بكثير عن أعداد الطيور المدونة على هذه الصخور. وعند البوابة توقفت لأودع الجوالين والقائمين على هذا المكان ولأشكرهم على ما يبذلونه من جهد لحماية هذه الطيور الجميلة، وقد تحدث إلي أحدهما قائلاً إن زيارة هذا المتنزه مكسب كبير لكل إنسان يحب الطبيعة، بغض النظر عن المبلغ الزهيد الذي يدفعه كرسم للدخول، فقلت ما هي هذه المكاسب؟ قال إن الزائر لبهارتبور جنة الطيور يأخذ معه ذكرى طيبة وصوراً تخلد هذه الزيارة، ويبقي لنا

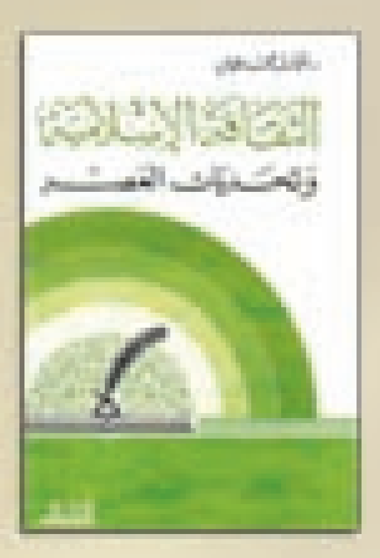
من الطيور الجوارح التي شاهدناها خلال جولتنا بين البحيرات النسر أبيض الظهر White-backed vulture ، وهو من الطيور المنتشرة في المنطقة، التي تتغذى على الحيوانات والطيور النافقة

فقط آثار أقدامه، التي سوف تزول بعد يوم أو يومين لتحل محلها آثار أقدام أخرى.

بعدها ركبنا السيارة وأخذت أفكر في كلام هذا الرجل الأمي، وكم كنت أتمنى أن يفهم هذا الكلام المتنزهون في بلادنا الحبيبة، وكم تركوا من مخلفات بعد رحيلهم وكم قطعوا من هذه الأشجار، وكم اصطادوا من طيور ليسوا في حاجة إلى لحمها، ألم يخطر ببالهم يوماً أنهم ربما يرجعون في عام قادم وأنهم سوف يحتاجون لظل هذه الشجرة ولسماع تغريد ذلك الطير على غصن تلك الشجرة. وماذا تركوا لأبنائهم من هذه الأماكن الجميلة؟ لقد ذهبوا وأخذوا كل شيء، الشجرة والطير وتركوا مخلفاتهم فقط، لتبقى بصمة سيئة لفترة طويلة. وإن كنت أرى في الوقت الحالي تحسناً كبيراً في مجال المحافظة على الحياة الفطرية، وذلك نتيجة للجهد الذي تقوم به الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، المتمثل في إكثار الحيوانات المهددة بالانقراض وإنشاء المناطق المحمية وإنتاج أفلام خاصة عن البيئات الفطرية بالمملكة، ليتمتع بمشاهدتها أبناء هذا الوطن المعطاء. ■

قراءة في كتاب:

الثقافة الإسلامية وتحديات العصر



تأليف: د. شوكت محمد عليّان
عرض: محمد ياسر منصور

كثيرة هي الكتب التي تناولت الثقافة الإسلامية في العصر الحديث، وتعرضت سلباً وإيجاباً إلى علاقة العصر الحديث بروح الإسلام وما كان للثقافة الإسلامية من دور في نهضة الأمم، وبشكل خاص الأمة العربية الإسلامية.

ويأتي كتاب «الثقافة الإسلامية وتحديات العصر» للدكتور شوقي عليان» ببراهين وحجج يثبت من خلالها على أن ما جاء في النصوص الإسلامية نصاً وتطبيقاً، هو في الحقيقة بمثابة تحدٍ لمقولات كثيرة في عصرنا الحديث.

يبيّن المؤلف في المقدمة سبب وضعه لهذا الكتاب وتأليفه له. ويرى أن المسلمين في الفترة الأخيرة أخذوا يتأثرون بغير ثقافة الإسلام، وأهملوا الأخذ بأسباب القوة المادية والفكرية التي دعاهم إليها، وركنوا إلى الدعة والسكون، لذلك اضطربوا فيما بينهم، وضعفت نفوسهم، وصدئت ضمائرهم.

كما يرى أن تخلف المسلمين عن مسايرة الركب الحضاري، إنما سببه عدم تمسكهم بكتاب الله الكريم وتطبيقهم له في حياتهم العملية، وأن الدين لم يكن في يومٍ ما عائقاً للنشاطات البشرية، بل العكس هو الداعي لكل نشاط بشري، وبكل الوسائل التي تكفل دفع عجلة التقدم والتطور.

وفي نهاية المقدمة يرى أن هناك تحديات ومعوقات جابهت الأمة الإسلامية الحديثة، وحالت دون مسايرتها ركب الحضارة والمدنية الحديثة، وقد أوضح المؤلف هذه المعوقات، وبيّن دور الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات.

يتألف الكتاب من سبعة أبواب رئيسة يحتوي كل منها على عدة فصول.

الباب الأول : مفهوم الثقافة

يتناول المؤلف في الفصل الأول من هذا الباب مفهوم الثقافة. فيتعرض إلى مفاهيم كثيرة للثقافة، وطرق تحصيلها، ومن ثم يأتي إلى حديثه عن الثقافة والمجتمع، ويصل إلى المنهج القرآني في تطوير ثقافة المجتمع، مبيناً أن المنهج القرآني يدعو الناس عند قبول أوضاع جديدة في ثقافة مجتمعهم ألا يقبلوها إلا بعد أن يتبين لهم أن هذا الجديد حق وصدق، ومقياس الحق والباطل هو القرآن ذاته.. فما أقرّه فهو الحق وفيه ما ينفع الناس، وما أنكره فهو الباطل وفيه الضرر.

ثم يتحدث الكتاب عن الثقافة والحضارة، فيرى أن الثقافة إما أن توافق كل منها تعاليم الإسلام وحينئذٍ تكون حقاً، وإما أن تخالفه أو تستعمل في غير أهدافه ومقرراته وحينئذٍ تكون باطلاً.

وهناك عناوين كثيرة فرعية ضمن هذا الفصل منها: «الثقافة والعلم» و «الثقافة عند العرب قبل الإسلام» و «أثر الإسلام في نشر الثقافة» و «أمية الرسول» (صلى الله عليه وسلم).

وفي الفصل الثاني يبحث المؤلف في الثقافة الإسلامية. فيتحدث في أمرين مهمين هما:

- موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى.
- التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي.

ففي الأمر الأول، يرى أن الثقافة الإسلامية جابهت في القديم والحديث تحديات كثيرة. ومن أعظم التحديات الحديثة على وجه العموم الغزو الغربي، ويقصد به غزو الحضارة الغربية والشرقية بشتى مؤسساتها، الذي ازداد خطره على المسلمين منذ القرن التاسع عشر الميلادي وما يزال مستمراً حتى الآن.

ويتساءل المؤلف بعد ذلك: يا ترى ما هو موقف المثقف المسلم من تحديات الثقافة الغربية؟

فيبين أنها محصورة في اتجاهات أربعة .. الاتجاه الأول يمثل الموقف السلبي، نتيجة سوء تفسير للدين الذي يحث على استعمال العقل والتفكير في الكون. والاتجاه الثاني يمثل موقف المستسلم للحضارة الغربية المقلد لها. أما الاتجاه الثالث فهو اتجاه تطوير الإسلام والتوفيق

بينه وبين الثقافة الغربية. والاتجاه الأخير هو ذلك الذي يواجه الحضارة الغربية مواجهة الواثق من نفسه المتمكن مما عنده من إمكانات وطاقات. ومن ثمرات هذا الاتجاه إعادة الثقة إلى المسلمين برسالتهم وثقافتهم وتاريخهم ومستقبلهم.

وفي الأمر الثاني يستعرض المؤلف بعض التحديات الخطيرة التي واجهت الفكر الإسلامي في العصر الحديث وفي إبّان الحملة الاستعمارية، ومن هذه التحديات يذكر محاولة إخراج اللغة العربية من مفهومها الذي تختلف فيه عن اللغات الأخرى بوصفها لغة القرآن، وفرض مناهج في علم اللغات للتحكم فيها وتصويرها بأنها لغة قومية فحسب، بينما هي في الواقع إلى جانب كونها لغة أمة، فهي لغة فكر وثقافة وحضارة ودين. ويرى أن هدف الحملة على اللغة العربية هو خلق عامية تقضي على لغة القرآن، وتمزق وحدة الفكر الإسلامي وإن ذلك يرمي إلى:

- عزل المسلمين عن العرب، وعزل العرب عن الوحدة الكاملة بينهم.
- عزل المسلمين والعرب عن مستوى البيان في القرآن الكريم.

وفي الفصل الثالث يبحث المؤلف في مصادر الثقافة الإسلامية، فيرى أن المصدر الأول هو (القرآن الكريم) .. فيستعرض في حديثه: تعريف القرآن، نزول القرآن، جمع القرآن، لغة القرآن، حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف، معنى الأحرف السبعة، أسلوب القرآن في التشريع، خصائص القرآن الكريم.

لم يكن الدين الإسلامي في يوم من الأيام عائقاً للنشاطات البشرية، بل هو الداعي لكل نشاط بشري وبكل الوسائل التي تكفل دفع عجلة التقدم والتطور

أما المصدر الثاني فهو (السنة النبوية) .. وقد ناقش المؤلف: تعريف السنة، حجية السنّة، أنواع السنة من حيث أحكامها، منزلة السنّة من حيث التشريع، تدوين السنّة في عهد الرسول، (صلى الله عليه وسلم)، التدوين في عهد الصحابة، التدوين في عصر التابعين وآثار التدوين.

أما المصدر الثالث فهو (الإجماع) .. وفيه ناقش المؤلف الأمور التالية: تعريف الإجماع، قيمة الإجماع، سند الإجماع، حجية الإجماع، الإجماع المنقول بخبر الواحد، وأهل الإجماع والصحابة والخلفاء الراشدون وأهل المدينة وأهل البيت.

وفي المصدر الرابع (القياس) .. ناقش المؤلف ما يلي: تعريف القياس، أركان القياس، حجية القياس، شروط القياس، شروط حكم القياس، شروط الفرع، العلة، شروط العلة.

وفي الفصل الرابع يبحث المؤلف في خصائص الثقافة الإسلامية، فيرى أن أساس ما ترتكز عليه الثقافة الإسلامية في جوهرها وأصلها هو الوحي الإلهي، فمصدرها الله تبارك وتعالى، وهذا الطابع المميز ينعكس في كل ما يشمله مفهوم الثقافة الإسلامية من معارف، لأن تلقي هذه المعارف وتقويمها يكون محكوماً دائماً بالقيم المنزلة من عند الله.

كما يرى أن النصوص الإسلامية مطلقة في كل شأن من شؤون الحياة، فهي ليست قاصرة - كما يرى بعض الناس - على الأمور الدينية، وإبعاد الإنسان عن أمور الدنيا .. فالله تعالى يقول:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

[القصص: ٧٧]

الباب الثاني: العقيدة وأساس البناء

يتناول المؤلف في الفصل الأول من هذا الباب مفهوم الدين وحاجة الناس إليه.. فيتعرض إلى مفهوم الدين وتعريفه، وحاجة الناس إلى الدين، والحكمة من تعدد الديانات، فيرى أن الديانات السماوية وإن تعددت في الفروع والتكاليف والأعمال فهي قد اتحدت في المصدر الذي صدرت عنه وهو الله تعالى، واتحدت أيضاً في الأصل الذي دعت إليه وهو التوحيد. فالقاسم المشترك بين الرسالات جميعاً هو تصحيح العقيدة أولاً، ثم معالجة الأمراض الخلقية والاجتماعية الموجودة في تلك البيئات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]

وفي الفصل الثاني يبحث المؤلف في مفهوم الإسلام، فيناقش أموراً كثيرة في أركان الإسلام.

وفي الفصل الثالث الذي جاء بعنوان (في العقيدة أساس البناء).. يوضح المؤلف الأصول التي تقوم عليها العقيدة وهي: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب السماوية المنزلة، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر.

وفي هذه النقاط اعتمد المؤلف على كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة للدلالة على حقيقة وأهمية هذه الأمور وتوثيقها بأدلة وبراهين منطقية تفضي إلى أن العقيدة أساس بناء الإنسان المسلم وتوجهه نحو ما يجعله سعيداً ويجعل إيمانه قوياً راسخاً.

الباب الثالث: الحضارة الإسلامية

يبحث المؤلف في الفصل الأول من هذا الباب في أساس الحضارة الإسلامية، فيجد أن العلم هو أساس الحضارة. ومن هذا المنطلق فإنه يستعرض مفهوم العلم ومراتبه وفضل العلم وأهله، وحكم تعلم العلم، وعلاقة العلم بالعمل.. ويربط ذلك كله من خلال المفهوم الحضاري الإسلامي ونظرته للعلم والعلوم.

وفي الفصل الثاني يبحث المؤلف في موقف الدين من الاكتشافات العلمية. فيتعرض إلى موقف الدين من الاكتشافات العلمية الحديثة، ولذلك يضطر إلى ذكر نماذج من المكتشفات العلمية في القرآن الكريم والذي سبق في ذلك العلماء والباحثين في العصر الحديث.

وفي الفصل الثالث يتناول المؤلف المُثُل الرائدة للحضارة الإسلامية، فيتحدث عن الحضارة في العصر الحديث والمتمثلة في مجالات: العمران، التصوير والرسم، الفنون الجميلة، الطب، الحساب والرياضيات، علم الهيئة، علم الكيمياء، علم الفيزياء والميكانيكا.

وفي الفصل الرابع يتحدث المؤلف عن المنهج العلمي لدى علماء الإسلام.. ويبين أنهم لم يبتعدوا عن الحقيقة، وكانوا موضوعيين في مناقشتهم وفي اتباع المنهج العلمي الصحيح.

الباب الرابع : مبادئ الإسلام العامة

وفي هذا الباب يتحدث المؤلف – عن أهم مبادئ الإسلام العامة وهي:

مبدأ التوحيد، مبدأ الاتصال المباشر بالله تعالى، مبدأ التخاطب مع العقل، مبدأ الإصلاح والتطهير، مبدأ الموازنة بين الدين والدنيا، مبدأ المساواة، مبدأ الحرية، مبدأ الأخلاق الفاضلة، مبدأ المؤاساة، مبدأ التعاون، مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبدأ رعاية المصلحة، مبدأ الشورى، ومبدأ العدل.

الباب الخامس : خصائص الإسلام

يتناول المؤلف في الفصل الأول من هذا الباب الدين الإسلامي وموافقته للعقل.. فيبحث في تعريف العقل وتقسيماته..ويذكر أن الله تعالى عظّم العقل وأعلى مكانته وأمر بالرجوع إليه فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان: ١٢]

ويبيّن أن القرآن الكريم عابَ الذين يهملون العقل ويعطلونه عن إدراك المعارف والعلوم، ويكتفون بتقليد الآباء أو يتبعون الأهواء والملل والنحل، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]

وفي الفصل الثاني يؤكد المؤلف على موافقة الإسلام لفطرة الإنسان، ويوضح الحكمة في جعل الإسلام دين الفطرة، ويبين أن المراد بالفطرة الموصوف بها الدين هي الفطرة الإنسانية، أي الانفعالات الحاصلة لنفوس البشر في حالة سلامة النفوس من التعاليم الباطلة والعادات السيئة.

وفي الفصل الثالث يوضح المؤلف أن الإسلام هو دين عالمي بحق؛ فالإسلام وحده الذي جاءت هدايته شاملة لجميع أنشطة الحياة، وتعالج كل القضايا، كما يمكن استنباط حِكَم لكل حادثة تجدّ، فهو بهذا دين خالد عام.

وقد استدل على عالميته الدين الحنيف ببعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة .. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وفي الفصل الرابع الذي جاء بعنوان (الإسلام شامل لمصالح الخلق).. يذكر المؤلف أن الإسلام أخذ المعاملات بين الناس بعين الاعتبار، وبيّن أنها لا تقل أهمية عن العبادات.

فالشريعة الإسلامية لا تقف في وجه أي تعامل مالي طالما كان هذا التعامل بعيداً عن الضرر والربا والغش وأكل المال بالباطل.

وقد وضعت قانوناً للمعاملات حتى لا يأخذ المرء ما ليس له بحق، وحتى تستقيم أحوال الناس ولا تضيع الحقوق، وتكون المنافع متبادلة على أحسن الوجوه وأتمها.

كما يذكر المؤلف أن الإسلام نظم الاقتصاد وبناه على عناصر أساسية تتمثل في الزكاة والصدقات ونحو ذلك.

ودعا الإسلام إلى التكافل والتعاون والتضامن الاجتماعي منذ أربعة عشر قرناً، لذا فقد بنى الإسلام شريعته وأقام نظامه على أساس قوي من عزة الإنسانية وكرامتها، فوضع من الأنظمة المالية والجزاءات التأديبية ما جعل الفقراء ذوي الحاجات والعاجزين عن الكسب يعيشون في مأمن من الخوف والضيق ومنأى عن العوز والحاجة، ووصلهم بعون مادي لا ينقطع ما دامت روح الإسلام تملأ قلوبهم وتسيطر على نفوسهم وتتغلغل في المجتمع.

وفي الفصل الخامس يؤكد المؤلف على أن الإسلام دين يسر وسماحة، ويبين أن مظاهر يسر الإسلام وسماحته تتجلى في شتى مجالات الحياة، ولكنها في باب العبادات أكثر وضوحاً، وهذا أمر ليس بمستغرب لأن العبادة صلة محضة بين الإنسان وخالقه، وسبحانه لطيف بعباده، فلا يشق عليهم، ولا يكلفهم بما لا يطيقون، كما لا يفاجئهم بأحكامه وإنما يتدرج بهم إلى أن تطمئن نفوسهم، فتقبل على أحكامه برحابة صدر، وسعة أفق.

> **القاسم المشترك بين الرسالات جميعاً هو تصحيح العقيدة أولاً، ثم معالجة الأمراض الخلقية والاجتماعية الموجودة في تلك البيئات**

الباب السادس : الثقافة الإسلامية وتحديات العصر

وهو من الأبواب المهمة في هذا الكتاب .. ففيه يبحث المؤلف في الثقافة الإسلامية وتحديات العصر.. وقد جاء هذا الباب في تمهيد، وستة فصول.

ففي التمهيد يقول المؤلف: «يواجه الإسلام في هذا العصر تهماً كثيرة ترمي بها المدينة الحديثة في أوروبا وأمريكا، متخذة من تقدمها الحضاري حجة على ما تفتريه على الإسلام، وأنه هو السبب في تأخر المسلمين وتخلفهم عن اللحاق بركب المدنية والحضارة التي سبقهم إليها الغرب».

وفي الفصل الأول يرى المؤلف أن الكثيرين من الذين أعمى الله أبصارهم، وأضلّ بصيرتهم، يدَّعون أن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو من صنع بشر. والحقيقة والواقع الذي يشهد له كل ذي عقل سليم ونظر سديد، أن القرآن من عند الله وليس من صنع محمد ولا غيره من

البشر. ثم يأتي بأدلة قرآنية وعقلية على ذلك.

وفي الفصل الثاني يناقش المؤلف دعوى أن الثقافة الإسلامية مستمدة من الثقافة الرومانية. فيقول: «ذهب بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم ممن أراد أن يهدم صرح الشريعة الإسلامية، فقالوا: أن الشريعة الإسلامية تتأثر إلى حد كبير بالقانون الروماني، وبالعادات والأعراف الرومانية»..

ويرى المؤلف أن هذه الدعوى هي دعوى الحاقدين على الإسلام وأهله، وأنه بالنظر والتدقيق المجردين عن الهوى يتبين لكل ذي عقل سليم بطلان هذه الدعوى.

كما يرى، أخيراً، أن كبار فقهاء الغرب قرّروا في كثير من مؤتمراتهم العلمية، أن الفقه الإسلامي تشريع قائم بذاته ليس مأخوذاً من غيره، وأنه فقه قابل للتطور، وأن الآراء المختلفة فيه تجعل منه ثروة حقوقية ضخمة تسع ما يجد في الحياة من أحداث.

وفي الفصل الثالث يناقش المؤلف في دعوى أن الإسلام يبيح لأتباعه النكاح بأي عدد من النساء. ذاكراً الحكمة من تعدد الزوجات في الإسلام. ومبيّناً أن الإسلام قصر التعدد على أربع نسوة مع توفر العدل. فمن خاف ألا يعدل فليس له إلا واحدة.. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]

وفي الفصل الرابع، يبحث المؤلف في بيان حال الرسول، (صلى الله عليه وسلم)، في النكاح، وفي بيان حال زوجاته في النكاح منه.

قرر كبار فقهاء الغرب في كثير من مؤتمراتهم العلمية أن الفقه الإسلامي تشريع قائم بذاته ليس مأخوذاً من غيره، وأنه فقه قابل للتطور، وأن الآراء المختلفة فيه تجعل منه ثروة حقوقية ضخمة تستوعب ما يستجد في الحياة من أحداث

وفي الفصل الخامس يبحث المؤلف في دعوى أن الإسلام أهمل نظام الأسرة ولم يوليها عناية أو رعاية، مستعرضاً كثيراً من الأمور التي تهم الأسرة الإسلامية، وموضحاً فيها ما جاء من آيات وأحاديث نبوية شريفة، ومبيّنا أن الإسلام قد عني بالعلاقة الزوجية فوق عنايته بأية علاقة إنسانية أخرى، واعتبر الزواج مظهراً من مظاهر الرقي البشري، يقوم على أغراض نبيلة وسامية.

وبالزواج تتكون الأسرة، والأسرة هي لبنة من لبنات الأمة التي تتكون من مجموعة من الأسر يرتبط بعضها ببعض.

والأسرة كخلية من خلايا المجتمع الإنساني لابد أن تعيش بنظام وفق التعاليم الدينية حتى تتحقق الحكمة التي أرادها الله تعالى في قوله الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]

وفي الفصل السادس الذي جاء بعنوان «في دعوى أن الإسلام أضر بالمرأة وأهدر كرامتها» .. يستعرض المؤلف وضع المرأة قبل الإسلام، ووضعها بعده.. فالمرأة في عصر ما قبل الإسلام كانت على وضع يختلف عما عليه في الإسلام. ففي المجتمع اليوناني مثلاً، كانت المرأة لا تغادر البيت وتقوم فيه بكل ما يحتاج إليه من رعاية. وكانت محرومة من التعليم، لا تسهم في العامة بقليل ولا كثير، وكانت محتقرة حتى سموها رجساً من عمل الشيطان. وكانت كسقط المتاع تباع وتشترى في الأسواق، وهي مسلوبة الحرية والمكانة في كل ما يرجع إلى حقوقها، وكذلك الأمر في المجتمع الروماني. لكن في الإسلام نجد أن المرأة قد أخذت حقوقها المشروعة، فهي تتمتع بكامل إنسانيتها، وتستوفي كافة حقوقها، وإن ما يظهر من تفاوت بين المرأة والرجل في بعض المسائل لا يرجع إلى انتقاص في المرأة وإهدار لكرامتها، وإنما هو لأمر خارج عن ذلك، ويمكن أن يكون للمصلحة العامة، وقد تكون هي المستفيدة من ذلك.

وقد حارب الإسلام التشاؤم بالمرأة، والحزن لولادتها، كما كان شأن العرب قديماً، وحرّم وأدها لأي سبب كان، وجعلها مكرّمة معزّزة في مختلف مراحل حياتها بنتاً وزوجة وأماً.

الباب السابع: أسباب تأخر المسلمين وتخلفهم عن مسايرة ركب الحضارة

وفي هذا الباب السابع والأخير من الكتاب، يناقش المؤلف أسباب تأخر المسلمين وتخلفهم عن مسايرة ركب الحضارة، متعرضاً في الفصل الأول إلى جمود التفكير العلمي لدى كثير من المسلمين وظهور التقليد للغير، ومن ثم يناقش عوامل انتشار التقليد. وفي الفصل الثاني يتعرض إلى التبشير، وأهداف التبشير ونتائجه. وفي الفصل الثالث يتعرض إلى الاستبداد السياسي وطرق تغلغل الاستعمار الحديث.

عوامل النهوض بالعالم الإسلامي

وفي خاتمة الكتاب يبحث المؤلف في عوامل النهوض بالعالم الإسلامي، فالناظر إلى الإسلام بعين الرضا والإنصاف يجده الدين الوحيد الذي يستطيع أن يوفق بين مصالح الناس جميعاً، ويحقق الأمن والاستقرار في نفوس البشر جميعاً، فهو قد كفل الحرية بما رفع من قدر الإنسان، وقَرَن النظام بما أتى من أحكام الشرع، وجعل طاعة الله ورسوله وأولي الأمر واجبات يقوم بها الناس، وهم راضون مع إعطائهم حق بذل النصح لأولي الأمر، وجعل للإنسان كرامة يجب أن يعتز بها بحيث لا تخرجه العزة عن واجب الإخاء الإنساني العام، وجعل العمل للخدمة العامة عبادة والعمل في سبيل الرزق عبادة ليصل الدنيا بالآخرة، ثم مزج بين الحق الذي يكون دفاعاً عن العدوان، والحق الذي يكون اشتراكاً في نظام عالمي، وأوجب المساواة فيما تكافأت فيه المواهب والقدرات. ■



أخطاء لغوية شائعة

بقلم: عادل عمر الرفاعي

الآنسون:

نبات حولي، زهره أبيض، وثمره حب طيب الرائحة، يستعمل في أغراض طبية. والعامة يقولون الينسون.

الأُخْطُبوط:

حيوان بحري، أسطواني الشكل،له ثمانية أرجل رأسية، يضرب به المثل في شدة تثبته بما يمسكه. بضم الهمزة والطاء. والعامة يفتحونهما فيقولون الأَخْطّبُوط.

البَبْغاء:

بباءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، وهو طائر من الفصيلة الببغائية يطلق على الذكر والأنثى. يتميز بمنقار معقوف وأربع أصابع في كل رجل، وله لسان لحمي غليظ، ومن أشهر أوصافه أنه يحاكي كلام الناس. ولا يخطئ من يشدد الثانية فيقول: الببّغاء. وبعض العامة يخطئون فيزيدون غيناً بين الباءين فيقولون بغبغاء.

البُحْبُوحة:

بضم الباء وهي من كل شيء وسطه وخياره. ويخطئ من يقول: هو في بَحْبوحة والجمع بحابيح.

البِرْسيم:

بكسر الباء والعامة والزرّاع يفتحونها، وهو عشب حولي من الفصيلة القرنية، أوراقه مركبة ثلاثية ذات أذينات، وأزهاره بيض، وبذوره صفر تميل إلى الحمرة، ويستعمل في العلف رطباً ويابساً.

البِرميل:

بكسر الباء ويخطئ من يفتحها، وهو وعاءٌ من خشب يتخذ للزيت والخل ونحوها والجمع براميل.

البَرْنامَج:

بفتح الباء والميم ويخطئ من يكسرهما وهو الورقة الجامعة للحساب، أو التي يرسم فيها ما يحمل من بلد إلى بلد من أمتعة التجار وسلعهم. أو النسخة التي يكتب فيها المحدث أسماء رواته، وأسانيد كتبه. أو الخطة المرسومة لعمل برامج الدرس والإذاعة.

البُهْلُول:

بضم الباء وهو السيد الجامع لصفات الخير. والمرح الضحّاك والجمع بهاليل. والعامة يخطئون فيفتحون الباء.

الثُغْرة:

بضم الثاء لا بفتحها وهي الثُلمة بالضم أيضاً. ويخطئ من يتحدث عن فتح الثغرات في ميادين الحرب إذا هو فتح ثاءها مفردة أو مجموعة والجمع ثُغَر.

التَبَغ:

نبات من الفصيلة الباذنجانية يستعمل تدخيناً، وسعوطاً، ومضغاً، ومنه نوع يزرع للزينة، وهو بفتح الباء كما ضبطه مجمع اللغة وكما ورد في المعجم الوسيط.